

كتاب مجلة " كلمة حق " (٧)
هدية العدد (١٨) من مجلة " كلمة حق " يناير - ٢٠١٩

مختصر كتاب
التصور السياسي للحركة الإسلامية

الشيخ رفاعي سرور

هذه السلسلة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

لو أفنى الإنسان عمره في قراءة ما تكتبه الأقلام لم يبلغ أن ينهي منها إلا قدراً ضئيلاً، فالعقول لا تتوقف عن الإنتاج والمطابع لا تتوقف عن الهدير، وفي عصرنا هذا كاد الناس كلهم أن يكونوا أصحاب أقلام ولهم كتابات، فما عليك إلا أن يكون لك حساب على موقع تواصل اجتماعي فيكون قد صار لك منبر عام تكتب فيه.

ومن بين الكثير من الغثِّ قليلٌ من السمين، فأودية العقول كثيرة ونتاج الفلاسفة كغابة ضخمة متشابكة.. فالعلم النافع بالنسبة لبحور الأفكار كالدرر واليواقيت في أعماق البحار.

والعلم الذي تحتاجه أمة مهزومة مستضعفة تريد أن تنهض ليس كالعلم الذي تحتاجه الأمم في حال رفاهيتها ورخائها.. فإن أمتنا أحوج إلى فهم الدين الصافي الواضح كما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهي بحاجة إلى فهم الواقع المعاصر لتُحسِن إصلاحه بما لديها من الدين، وتحتاج إلى علوم النهوض وبناء الأمم أكثر من حاجتها إلى علوم الترف والزينة والزخارف. وفي طليعة علوم النهوض: فهم الدين والسياسة والتاريخ والعلوم الأمنية والعسكرية.. فالمكتوب في هذه الأبواب أولى بالعناية والاطلاع والدراسة من غيره.

وقد أنعم الله علينا في "مجلة كلمة حق " بفكرة أن نقدم مع كل عدد كتاباً كهدية، ونحن بين أن نستخرجه من كتاب مهم، أو أن يكون تلخيصاً لكتاب مهم، أو أن يكون ترجمة لتقرير مهم.. وهكذا، نختاره بحسب ما نقدِّر أهمية الاطلاع عليه.

ونرجو أن يعيننا القراء الكرام بترشيحاتهم ومجهوداتهم، فالباب مفتوح لكل مجهود..

نسأل الله أن يكون علما نافعا وعملا صالحا خالصا لوجهه الكريم

مجلة

كلمة حق



الباب الأول

النظرية السياسية الإسلامية

البناء الفكري للنظرية السياسية

إن الأسلوب الأفضل في طرح النظرية هو البدء بتعريف "السياسة الإسلامية"، وبتحليل عناصر التعريف يتم طرح النظرية..

والسياسة الإسلامية:

هي حكمة "الجماعة" المنشئة "لدولة" الدعوة العالمية "الخلافة" المقيمة "لحضارة" الحق.

حكمة الجماعة "بناء النظرية السياسية":

الحكمة: هي حاسة الصواب الكامنة في كيان الداعية، محددة له في واقع الدعوة.. سبيل الوصول إلى الغاية.

وهذا هو المفهوم الفردي للحكمة.

فإذا تحدد المفهوم الجماعي للحكمة.. كان هذا المفهوم هو السياسة..

فإذا قلنا: إن الحكمة هي سياسة الفرد، كانت السياسة هي حكمة الجماعة.

وعلى هذا.. فإن النظرية السياسية الإسلامية تتحدد أساسًا بعناصر الحكمة الأربعة:

"الحق، والإنسان، والواقع، والغاية".

وارتباط هذه العناصر بالمستوى الجماعي للدعوة هو الذي يحدد إطار النظرية السياسية؛ بحيث يكون غياب أي عنصر من عناصر الحكمة الأربعة أو الخلل في العلاقة الصحيحة بين هذه الجوانب سببًا في عدم تحديد هذا الإطار.

الفصل الأول

"الجانب الأول من جوانب النظرية"

"الحق"

(1) شواهد الحق في الممارسة السياسية:

ومن بناء النظرية السياسية تحققت شواهد الحق في الممارسة السياسية..

وما نعنيه بشواهد الحق: هي تلك الحقائق المسلَّمَة التي ندخل بها واقع الممارسة، وهي غير مستنبطة من الخبرة السياسية، كما لا تتجاوزها الممارسة في كل أحوالها، **وهذه الشواهد هي:**

(أ) المضمون:

سبق القول بأن السياسة هي المفهوم الجماعي للحكمة.. وعلى أساس هذه الحقيقة يكون بناء النظرية السياسية هو الارتفاع بجوانب الحكمة إلى المستوى الجماعي، وذلك بمقتضى الحق.

ويصور الإمام ابن القيم جانب الحق في بناء النظرية، فيقول: "السياسة ما كان فعلاً معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يصنعه الرسول -صلى الله عليه وسلم، ولا نزل به وحي، ومن قال: لا سياسة إلا بما نطق به الشرع فقد غلَّط الصحابة؛ فقد جرى من الخلفاء الراشدين ما لا يجحده عالم بالسنن"...

ويقول ابن القيم: "وهذا موضع مزلة أقدام ومضلة أفهام، وهو مقام ضنك، ومعترك صعب، فرَّط فيه طائفة فعطلوا الحدود، وضيعوا الحقوق، وجرَّءوا أهل الفجور على الفساد، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد، محتاجة إلى غيرها، وسدُّوا على أنفسهم طرقًا صحيحة من طرق معرفة الحق والتنفيذ له، وعطلوها مع علمهم وعلم غيرهم قطعًا أنها حق مطابق للواقع ظنًّا منهم منافاتها لقواعد الشرع".

(ب) العقيدة:

وهي التوحيد بمرتكزاته الثلاث: "الحكم والنسك والولاء"، وهي المرجعية العليا للممارسة

السياسية والحركية ونظام الدولة.

لقد كان لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- موقف يُعَلِّمُ فيه الأمة قيمة العقيدة والتوحيد في واقع الصراع والمواجهة، وهو ما كان بعد غزوة أحد.

فبعد الغزوة أراد أبو سفيان أن يحقق نتيجة سياسية للحرب، فوقف خطيبًا بين الجموع فسأل: أفيكم محمد؟ أفيكم ابن أبي قحافة؟ أفيكم عمر؟

وكان موقف الرسول -صلى الله عليه وسلم- ألاَّ يَرُدَّ عليه أحد، حتى لا يكون في الرد عليه استفزاز يجعله يعاود الهجوم على المسلمين وهم غير مستعدين بعد، حيث كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يدرك أن أبا سفيان كان لا يريد إلا هؤلاء الثلاثة، وأن عدم الرد سيجعله يشعر أنه قد حقق غايته.. ولكن أبا سفيان قال بعد ذلك: اعلُ هبل!

فتغيرت حسابات الموقف.. أصبحت العقيدة هي الأساس، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "أَلاَ تُجِيبُوا لَهُ"؟

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا نَقُولُ؟

قَالَ: "قُولُوا: اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ".

قَالَ: إِنَّ لَنَا العُزَّى وَلاَ عُزَّى لَكُمْ.

فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم: "أَلاَ تُجِيبُوا لَهُ"؟

قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا نَقُولُ؟

قَالَ: "قُولُوا: اللهُ مَوْلاَنَا وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ".

لقد كانت حسابات الموقف ألا يرد أحد من المسلمين، ولكن عندما يكون الأمر متعلقًا بالعقيدة لا يكون الصمت.

(ج) القوة:

وهي التي تفرض الحق كمضمون للنظرية والممارسة السياسية، وهي مقتضى الاعتقاد بالمواجهة الحتمية مع الجاهلية، فليست المواجهة فكرة مستنبطة من ممارسة الواقع.. ولكنها حقيقة ثابتة قبل الممارسة، عَلِمَهَا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل أن يبدأ دعوته.

وهذا ما أخبره به ورقةُ بن نوفل النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- بعد نزول الوحي عليه، وقبل أن يعلن دعوته: "يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ".

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم: "أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ"؟

قَالَ: "نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا".

(د) الثبات:

وأهم شواهد انطلاق الممارسة السياسية من الحق هو ثبات الخط السياسي لهذه الممارسة؛ لأن الحق يرفع الممارسة السياسية فوق ظروف الواقع وزعاماته، حتى يبلغ الأمر أن يصبح الخط السياسي هو الذي ينخرط به الواقع وتنتظم به الزعامات.

إن أكبر دلائل البعد عن الحق هو التفاف الخط السياسي حول منحنيات الواقع والالتواء فوق عقباته، وكذلك التلون بلون كل زعامة جديدة والاصطباغ بصبغتها.

(2) المفاصلة الفكرية بين السياسة الإسلامية والجاهلية:

وكنتيجة للتقابل بين النظرية الإسلامية والجاهلية أصبح لكل نظرية مصطلحاتها، وأصبح التقابل بين مصطلحات كل نظرية يمثل أخطر معالم الصراع بين الإسلام والجاهلية، كما أصبح لهذا الصراع عناصره الثابتة:

- تقييم كل طرف بمصطلحات الطرف الآخر.
- فرض كل طرف لمصطلحاته كدلالة على قوته وغلبته في الصراع.
- محاولة الخلط بين المصطلحات الإسلامية والجاهلية لتغييب التصور الإسلامي السياسي الصحيح.

(أ) معركة المصطلحات السياسية:

وأساس المعركة هو تحديد النظرية السياسية بمناهج ومصطلحات غربية، والمثال التاريخي على ذلك تحليل كل ظواهر الدعوة الإسلامية بالمناهج الغربية، وهذا التحليل ليس مجرد محاولة للمعرفة ولكنه التفاف حول الدعوة ووضعها في ميزانهم الفكري والمنهجي، وإعطاء الانطباع بأنها ظاهرة خاضعة للدراسة ومحكومة الاحتمالات، وهي فكرة شيطانية قديمة حاولتها أقوام جاهلية سابقة منذ هود -صلى الله عليه وسلم؛ حيث حاولوا تفسير الرسالة والدعوة بأنها مجرد إصابة من الآلهة ولا تخرج عن حدود ذلك، وليس هناك تفسير غيره: (إِنْ نَقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آَلِهَتِنَا بِسُوءٍ..) [هود: 45].

ومتابعة بداية ظهور المصطلحات المعادية يحتم الحساسية الشديدة في قبول أي مصطلح لم يرِد فيه نص شرعي.

مثل قبول تسمية الشورى ديمقراطية؛ هو الذي انتقل إلى مصطلح الإسلام الديمقراطي، **والذي يعني:** أن هذا الدين بكليته ديمقراطي، مما أنشأ بدوره مصطلح الاعتدال الذي تحول إلى "الإسلام المعتدل"، والذي أظهر بدوره مصطلح التطرف والإرهاب والإسلام السياسي.

والخط الأساسي لمعركة المصطلحات هو تفريغ التصور الإسلامي من مضمونه العقدي الصحيح.

فالمصطلح الشرعي الصحيح "الحاكمية" يتحول إلى مصطلح "تقنين الشريعة"، الذي تحول بدوره إلى: "تنقية القوانين"!

والمقصود من "الإنسانية" القضاء على حقيقة الولاء للدين.

والمقصود من "الثقافة" تحول الدين إلى ظاهرة فكرية.

والمقصود من "الآخر" القضاء على المفاصلة.

(ب) ثوابت الفكر السياسي:

التأصيل الشرعي للفكر السياسي:

وأول ثوابت هذا التأصيل هو إدراكنا للعلاقة بين الفقه والسياسة الذي تتحدد به طبيعة الممارسة.. وهي الحكمة ذاتها.

ذلك لأن الحكمة -كما اتفقنا- هي أساس البناء الفكري للنظرية السياسية، والحكمة هي الفقه.. وبذلك تصبح كل أصول الفقه أساسًا في الممارسة السياسية.

والحقيقة.. أن الفقه الإسلامي هو العلم الشرعي المثبت لمفهوم السياسة الإسلامية؛ ذلك أن الفقه قائم على مراعاة الواقع في إجراء الأحكام، وقائم على اعتبار المآل، وقائم على دفع الضرر الأكبر بالضرر الأصغر، وقائم على الترجيح بين درء المفسدة وجلب المصلحة. ومن هنا كانت الملاحظة التراثية المهمة، وهي أن كل من كتب في السياسة الإسلامية كانوا من الفقهاء.

الفصل الثاني

الجانب الثاني من جوانب النظرية

"الواقع"

تحليل الحركة السياسية:

السياسة هي: مراعاة الواقع في إحقاق الحق، واعتبار الواقع في سبيل الوصول إلى الغاية.
ولذلك لا تتم أي ممارسة سياسية صحيحة إلا من خلال الواقع، حتى أصبح هذا الارتباط شرطًا في صحتها.

ومن هنا كان ابتعاد العلماء عن الحياة العامة سببًا في جعلهم بعيدين عن السياسة نظريًّا وعمليًّا، وقد سجل هذه الظاهرة المؤرخ ابن خلدون.. فذكر أن العلماء أبعد عن السياسة ومذاهبها؛ والسبب في ذلك أنهم معتادون النظر الفكري والخوض في المعاني وانتزاعها من المحسوسات وتجريدها في الذهن؛ أمورًا كلية، ويطبقون من بعد ذلك الكلي على الخارجيات.

ويقصد ابن خلدون أن كثيرًا من العلماء -لعيشهم مع الكتب- ينظرون إلى الأمور من خلال الكتب، مع أن الواقع الخارجي "الدول وأحوال الناس الاجتماعية والاقتصادية" يكون مغايرًا أو محتاجًا إلى تدقيق في التفاصيل.

وقد بلغ هذا الخطأ حد اعتبار الغياب عن الواقع شاهدًا من شواهد التعمق في العلم..

وقد ترتب على غياب العلماء عن الواقع أخطاء فادحة في تنزل الأحكام الشرعية على الواقع، حتى بلغ الغياب عن الواقع ببعضهم أن اعتبر الحكام المعاصرين "المبدلين للشريعة" مثل بعض الحكام الظالمين من الدولة الأموية أو العباسية.

فالسياسة -كما يقول ابن خلدون- تحتاج إلى مراعاة ما في الخارج وما يلحقها من الأحوال فإنها خفية..

هذا إذا كانت السياسة بمعنى معرفة الواقع تمامًا ومحاولة للنهوض بالمسلمين من خلال هذه المعرفة إلى الدرجة التي يريدها الإسلام، أما إذا كان المقصود بالسياسة المراوغة والاحتيال وإتقان فن المداهنة والنفاق فلا.

والإطار الواقعي للنظرية السياسية يتحقق مقتضاه في الممارسة من جانبين: الواقع الذي

تُمارس فيه الدعوة، والبعد التاريخي لهذا الواقع.

الواقع الذي تمارس فيه الدعوة:

حيث تتم الممارسة من خلال التقييم السياسي للواقع، وهو التصور الذي يختلف عن التحديد الفقهي المباشر في الحكم على هذا الواقع..

مثال ذلك: التفريق بين الروم والفرس باعتبار أن الروم ينتسبون إلى دين سماوي والفرس مجوس؛ مما جعل المسلمين يفرحون لنصر الروم رغم أن الحكم الشرعي في الدولتين هو الكفر.

ومثال ذلك -أيضًا:

اختيار الرسول -صلى الله عليه وسلم- الحبشة لتكون مكانًا للهجرة الأولى قائلاً: "اذهبوا إلى الحبشة؛ فإن فيها ملكًا لا يُظلم عنده أحد".

ومن هذين المثالين يتضح الفرق بين التصور الفقهي المجرد والتصور السياسي؛ فالتصور السياسي يفرق في التعامل بين دولة كافرة ودولة كافرة أخرى، وبين حاكم كافر وحاكم كافر آخر.

ومن التقييم السياسي للواقع يتم التعامل الصحيح معه والاستفادة بطبيعته وخصائصه.

مثل الاستفادة بالطبيعة الاجتماعية وتقاليدها كتقاليد الجوار.. كما دخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مكة في جوار أحد المشركين، وتقاليد نصرة المظلوم، كما أقر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- اجتماع العرب قبل الإسلام على أن لا يُظلم بينهم أحد، وهو المعروف بحلف الفضول الذي قال فيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "لو دعيت إليه لأجبت".

وبذلك تكون الاستفادة بالواقع بكل عناصره حتى جغرافية المكان.. ولقد كان موقع غفار في طريق تجارة قريش مانعًا لقريش من قتل أبي ذر.

وكذلك الاستفادة من العلاقات التجارية والموارد الطبيعية، وكان موقع أبي ثمامة من أهل اليمامة وموقع اليمامة من أهل مكة مانعًا لقريش من قتله؛ لاحتياجهم للطعام والميرة من اليمامة.

والاستفادة من الواقع لا تقف عند حد الحاضر؛ بل تبلغ البعد التاريخي له والارتكاز على تجاربه التاريخية في التعامل مع أهله.

ومن هنا يجب التعامل مع الواقع الذي تمارس فيه الدعوة بكل هذه الاعتبارات: معرفة طبيعة الناس وتقاليدهم وخصائص موقعهم وتاريخهم.



فعندما تكون الدعوة في مصر -مثلاً- يجب الانتباه إلى كل أبعاد هذا الواقع من حيث الطبيعة الإنسانية.

وبذلك يصير أهم واجبات الدعوة هو اجتماع كل إمكانيات الحركة الإسلامية بكل اتجاهاتها في مهمة إدراك الواقع ومتابعته، باعتبار أن السياسة وظيفة جماعية.. وأن إدراك الواقع يجب أن يكون هو الآخر وظيفة جماعية؛ ليصبح نظام جمع المعلومات ومتابعة الواقع الجاهلي بكل الوسائل والأساليب لصالح الحركة الإسلامية أهم واجبات الممارسة السياسية للحركة بكل كياناتها. كضرورة أساسية لتحقيق المواجهة اللازمة لكل المخططات الجاهلية ضد الدعوة.

نقل الخبرة:

وفي إطار تحليل الواقع التاريخي للدعوة تتحدد أخطر قضاياها تحديدًا سياسيًّا: وهي نقل الخبرة، التي تمتد من التاريخ حتى الواقع القائم للدعوة بكل تجاربها.

وفي نقل الخبرة السياسية من التراث، يقول شهاب الدين بن أبي الربيع صاحب كتاب "سلوك المالك في تدبير الممالك" في أول صفات الزعيم السياسي: "الرأي المتين بالبحث والنظر في تدابير السلف وتجاربهم".

والخبرة ترجع في مضمونها إلى التجربة سواء كانت تاريخية أو حديثة.

ولكن التجربة كمصدر للخبرة ليست مجرد إضافة عقلية أو سلوكية، ولكنها قبل ذلك مصدر يقين قلبي يجعل من الإضافة العقلية والسلوكية دافعًا لمواجهة المواقف واطمئنانًا في ممارسة تلك المواجهة.

والأخذ بالتجربة من أهم ضرورات المواجهة مع الجاهلية لسبب عملي واضح، وهو أن الجاهلية تجربة واحدة بدأها إبليس بمعصيته واستكباره، وسيظل قائمًا عليها إلى يوم البعث. وتقييم التجارب الإسلامية السابقة علينا ليست مجرد إضافة خبرة أو زيادة معرفة، ولكنها استمداد للخير من أصله؛ لأن أي تجربة حدثت في مجال الدعوة هي أحداث سبقنا بها دعاة نحن نليهم في استمرار الدعوة.

وما سبق يحدد قيمة التجربة على المستوى التاريخي للدعوة، ليبدأ بعده تحديد قيمة التجربة على المستوى الفردي، وأثر التجربة في الداعية بصفة شخصية من خلال عدة نقاط:

أولاً: أن التجربة أساس للتربية:

ولذلك رعى كل الأنبياء الغنم قبل ممارسة الدعوة؛ ليتزودوا من خلال تجربة الرعي بصفة



السكينة والوقار.

ثانيًا: أن التجربة مصدر للثقة:

ولذلك جعل الله موسى يخوض تجربة العصا عندما تصير حية في الوادي المقدس، قبل أن يذهب إلى فرعون.

ثالثًا: أن التجربة ضرورة لليقين:

لأن التجربة واليقين يلتقيان في الواقع؛ إذ إن الواقع هو مجال التجربة ومصدر اليقين؛ ولذلك كانت رؤية زكريا لمريم في تجربة ملموسة للرزق بغير حساب هي مصدر يقينه بإمكانية أن يرزق الولد بعد أن اشتعل رأسه شيبًا.

رابعًا: أن التجربة ضمان للصواب:

ولذلك يعلمنا النبي -صلى الله عليه وسلم- الحذر من معاودة الخطأ بالاستفادة من أي تجربة خاطئة فيقول: "لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين".

غير أن الاستفادة الحقيقية من تجارب الدعوة السابقة رهن بالتقييم الصحيح لها فكرًا وتطبيقًا.

قواعد نقل الخبرة:

ومما سبق يتبين أن مهمة نقل الخبرة لها عدة قواعد:

- الصواب الشرعي؛ فعند تقييم أي عمل إسلامي في واقع الدعوة نسأل أولاً عن الحكم الشرعي في هذا العمل.
- بلوغ حد الاستطاعة المادي والتنظيمي المقدر لتحقيق الهدف..

فإذا توافر الدليل الشرعي بالصواب من حيث الحكم وتوافر حد الاستطاعة المادي والتنظيمي من حيث العمل، ثم كان الخطأ في الممارسة.. فإننا نواجه هذا الخطأ بعدة واجبات:

الأول: معالجة هذا الخطأ وأثره في الواقع..

الثاني: قد يحدث خطأ باعتبار الخطة وبالقياس إلى الهدف المحدد، ولكن قد يكون لهذا الخطأ بالاعتبار القدري جانب إيجابي بالقياس إلى الواقع، فعندئذ يجب الانتباه لهذا الخطأ المنهجي مع تحديد أسلوب الاستفادة من أي نتائج كائنة بقدر الله في واقع الممارسة.

فلا يمنع خطأ الممارسة مهمة الاستفادة من النتائج الحادثة بصفة قدرية بحتة!

كما أن الاستفادة من النتائج الحادثة قدرًا لا يعني إقرار خطأ الممارسة..



الثالث: ربط آثار التجربة بكل جوانبها الإيجابية المحددة تخطيطًا، أو السلبية الناشئة عن الممارسة، أو الحادثة قدرًا، بواقع الدعوة، وتقييم الوضع النهائي للتجربة، استعدادًا لمرحلة جديدة.

الرابع: الارتفاع بمفهوم الأخوَّة فوق مستوى الصواب أو الخطأ، فلا يعني الحكم بخطأ الممارسة أن ينسحب أثر هذا الحكم على صاحب هذه الممارسة؛ لأن المقصود من تقييم الممارسة الاستفادة من الأخطاء لتفاديها، وليس الأشخاص بذاتهم.

التقييم التاريخي:

كما يجب تقييم أي تجربة على أساس الواقع والظروف التي تمت فيها، فيقاس تقييم أي حدث تاريخي بالنسبة لواقع الدعوة القائم إلى ظروف البداية التي لم يملك فيها أصحاب الدعوة أي تصور حركي أو خبرة سابقة أو إمكانية للعمل.

ومن هنا كانت التصرفات التي لا يمكن الاقتناع بها الآن.. تمثل بالنسبة لأصحاب هذه المرحلة خطوة متقدمة..

مثل: فكرة الهجرة التي تبناها زعيم إحدى الجماعات..

فجمع أتباعه في إحدى المناطق الصحراوية في الصعيد ليقيم مجتمعًا بعيدًا عن المجتمع الجاهلي، هذه الفكرة التي تبدو الآن غريبة لا معنى لها، كانت في وقتها فكرة متقدمة ملهمة لعدد كبير من الشباب الذين انضووا تحتها بقناعة وحماس.



الفصل الثالث

الجانب الثالث من جوانب النظرية

الإنسان "المسلم السياسي"

أما جانب "الإنسان" في النظرية السياسية فإنه يتمثل في مصطلحين:

الأول: المفكر السياسي

وذلك باعتبار أن الفكر مهمة إنسانية صادرة عن الإنسان المرتبط بالحق والناظر في الواقع والمدرك للغاية.

لتصبح جوانب الحكمة هي بذاتها عناصر الفكر السياسي.

وبذلك أصبح لزامًا على المفكر السياسي الإسلامي الالتزام بالأساس الشرعي؛ ليكون الحق هو القيمة العليا التي منها وبها تتحدد جميع أبعاد الممارسة السياسية.

وأصبح لزامًا على الفكر السياسي الإسلامي الارتباط بالواقع بجانبيه: الاجتماعي والحركي؛ وذلك من خلال الارتباط بواقع الدعوة، وكذلك من خلال الالتزام بقواعد الحركة لهذا الواقع -أيضًا.

وأصبح لزامًا على المفكر السياسي الإسلامي اعتبار قضية الخلافة هي منطلقه الوحيد في بناء وتصور الحقيقة السياسية، وذلك على أساس أن الخلافة هي الغاية النهائية للحركة.

وبذلك يُنشئ الفكر السياسي علاقة تفاعل بين التأمل في الحق، الذي يقوم به الإنسان، وهو يحيا في الواقع، لإدراك الغاية.

وإذا كان التأمل يعكس النبوغ الفردي والحساسية الذاتية.. فإن الواقع ترجمة للمعاناة اليومية من خلال الممارسة.

والاستمرارية الفكرية تفترض التتابع المستمر، والمعاناة المنتظمة، في علاقة ثابتة بين الفكر والحركة؛ حتى تتحقق الغاية.

والمحصلة النهائية لبعدي الحق والإنسان هي تكوين المفكر السياسي.

والذي يجب فهمه هو أن الإنسان المؤمن -صاحب التصور السلفي- هو الذي يملك القدرة -بإذن الله- على أن يكون مفكرًا سياسيًّا.

وافتقاد هذا التصور يعني العجز عن تقديم أي عطاء، بل والعجز عن الارتباط الصحيح بأحداث الأمة،



وهناك أمثلة تاريخية لهذا الانفصال:

الغزالي: يعاصر الغزوة الصليبية فلا يعلق عليها..

الفارابي: يترك الواقع ويعيش في مدينته الفاضلة..

ابن رشد: يعيش مأساة انهيار الدولة الإسلامية بالأندلس، ومع ذلك يحيا في تهافت الفلاسفة وغير الفلاسفة.

وقد مر بنا الارتباط بين الفقه والسياسة، وأن الفقهاء كانوا هم المفكرين السياسيين في الأمة.

الثاني: الزعامة السياسية:

الزعامة السياسية تعني باختصار: القدرة الذاتية على اتخاذ القرار السياسي المحقق

لأقوى إمكانيات الصواب، وأقصى درجات الاطمئنان النفسي.. يعني "الجانب الإنساني للقرار السياسي".

ومن مجموع كتب الفكر الإسلامي التراثية والحديثة تتحدد صفات الزعامة السياسية اللازمة لاتخاذ **القرار السياسي وأساسها:**

- الحكمة.
- الإخلاص.
- الصبر.
- الذكاء.
- العلم.
- الشورى.
- العزم.
- التوكل.
- الحب والألفة.

وبصفة نهائية تكون القوة الشخصية.. التي يأخذ بها فرصته الكاملة في اتخاذ قراره، ويتنبه بها إلى المحاولات الطبيعية المصاحبة لكل قرار جديد، والتي يحاول فيها أصحابها نقد أو رفض القرار من المحيطين بصاحب القرار عندما يكون حوله المخلص غير الذكي والذكي الفاقد للخبرة؛ حيث سيترتب على فقد أي عنصر من عناصر الإخلاص والذكاء

والخبرة.. محاولة معاكسة لصاحب القرار..

وأقوى ما تتمثل فيه القوة الشخصية للزعيم السياسي هو قدرته على مواجهة جماعته ذاتها في حال الوقوع في خطأ جماعي يجب تصحيحه.

و في حال اتخاذ قرار يراه صوابًا ولا يشاركه في هذه الرؤية أحد غيره، مثلما كان من أبي بكر في حرب الردة، **وهذه الحالة لا تعتبر استبدادًا:**

لأنها تستند إلى أساس شرعي, ولأن القرار كان بعد المشورة..

ولأن العلاقة النفسية بين الجماعة والأمير كانت قوية بالدرجة التي تجاوزت بها الجماعة هذا الموقف، فاقتنعت بالرأي بعد ثبات أبي بكر عليه، ولذلك يقول عمر: "فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْتُ أَنْ قَدْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَ أَبِى بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ".

وكما كانت صفات الزعامة السياسية أساسًا في تحقيق غاية الجماعة، فإنها هي نفسها أساس حماية الجماعة من أخطار الزعامة.. وأشدها الإحساس بتعلق أهداف الدعوة بهذا الزعيم وارتهانها بشخصه.

ومكمن الخطر هو أن الشروط المحققة للزعامة هي نفسها التي يتسلل من خلالها هذا الخطر.. وخصوصًا إذا طال الوقت بهذا الزعيم وكثرت أعماله الساعية إلى تحقيق هدف الجماعة، فينشأ الشعور بأن الجماعة غير قادرة على تحقيق أهدافها بغير هذا الزعيم..

لقد تنبه عمر إلى هذا الخطر فكان قرار عزل خالد؛ ليؤمن المسلمون أن الأمر بيد الله وحده.

إنسانية الممارسة السياسية:

وتعني ما يتعلق بالجانب الإنساني في الممارسة السياسية، وتتلخص في:

الوطنية:

والمفهوم الوطني في التصور السياسي الإسلامي يتحدد في عدة عناصر:

- **العنصر الأول:** الإقرار بالإحساس الطبيعي للإنسان تجاه الوطن الذي نشأ فيه، وهو ما عبر عنه الرسول -صلى الله عليه وسلم- عندما هاجر من مكة؛ فقال مخاطبًا لها:

"ما أطيبك من بلد وأحبك إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك".

ففي هذا الحديث كان الخطاب من الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى مكة، ومعنى ذلك شدة العاطفة نحوها، وفيه الإقرار بأنها أطيب البلاد، حتى لا يفهم الخروج منها بأنه تحول عنها، ولكنه كان تصرفًا اضطراريًّا..



الفصل الثالث

الجانب الرابع من جوانب النظرية

"الغاية"

أهداف العمل السياسي

وجانب الغاية في التصور السياسي له معنى جوهري وهو الهداية؛ لأن الهداية هي غاية الدعوة وحكمتها.

وباعتبار أن السلطة هي الوسيلة الأساسية لتحقيق الهداية "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن".

وباعتبار أن للسلطة حدًّا نهائيًّا.. وهو الخلافة، أصبحت الخلافة هي الصيغة السياسية لغاية الهداية.

ولكن إقامة السلطة -ابتدًاء- والخلافة -كحد نهائي لها- تقتضي القوة.. والقوة غايتها الشهادة.. والشهادة غايتها الجنة، لتكون الشهادة والجنة غاية نهائية على المستوى الفردي لأصحاب الدعوة.

وبذلك يتحدد مجموع الغايات بصورة مرتبة:

الهداية: كغاية نهائية للدعوة.

الدولة والخلافة: كصيغة سياسية لتلك الغاية.

الشهادة والجنة: كمقتضى لتحقيق تلك الصيغة.

وهذه الحقائق الثلاث هي التي تمثل في التصور السياسي جانب الغاية.

أولاً: الهداية:

وبحسب ترتيب حقائق الغاية في التصور السياسي أصبحت غاية الهداية هي الهدف الذي ترتبط به كل الأساليب.

وهذا الارتباط حقيقة بارزة في التصور الإسلامي العام؛ حيث إن الغاية والأسلوب ليس بينهما في التصور الإسلامي أي تناقض، ومن هنا أصبحت غاية الهداية هي المحصلة



النهائية لكل أبعاد التصور السياسي.

فالهداية هي محصلة البعد العسكري بدليل قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم"، وقوله: "عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل".

وكذلك نجد في تعبير النبي -صلى الله عليه وسلم- حرصًا على ألا يطغى الأمر بالقتال على غاية الهداية تحقيقًا للإحكام بين المفاهيم، مثال قوله -صلى الله عليه وسلم:

"أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا: لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله"، ثم قرأ: (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۞ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ)[الغاشية: 12-22].

وذلك حتى لا تطغى مهمة القتال على مهمة التذكير في فهم الناس.

والهداية هي محصلة البعد الاقتصادي بدليل قول الله: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [التوبة: 06].

يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "إني أعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه؛ مخافة أن يكبه الله في النار".

والهداية هي محصلة البعد الجماهيري..

وفي تحديد معنى الغاية في التصور السياسي عدة حقائق أساسية:

- ارتباط كل مراحل الدعوة وأساليبها بالغاية النهائية للدعوة: وهذا الارتباط هو الذي يحمي الغاية من أن تتحول إلى شعار أو ادعاء ليس له وجود في الواقع.. مما يقتضي ارتباط كل مراحل الدعوة وأساليبها بغاية الدعوة.

- العلاقة بين الكيانات المتعددة في الواقع الواحد: وهي نقطة الضوء المكثفة حول حقيقة الغاية في التصور السياسي، وهي حق هذه الغاية على مستوى كيانات الحركة المتعددة التي تتبنى جميعها الهداية كغاية واحدة لتلك الكيانات.

فيجب أن يكون لهذه الغاية الواحدة -وهي الخلافة- حق مفروض على طبيعة العلاقة بين الكيانات المتعددة الهادفة إلى هذه الغاية الواحدة.

وأهم القواعد في هذا الحق هي أنه: "لا صراع مع مسلم".

ثانيًا: الخلافة.. الصيغة السياسية لحركة الهداية:



(أ) دولة الدعوة:

والسعي للخلافة كصيغة سياسية للغاية يبدأ بإقامة الدولة المرتبطة بالهداية.

فالدولة الإسلامية أساس قيامها: الدعوة ونشر العقيدة، والدعوة الإسلامية محورها ووظيفتها: تحقيق القناعة بحقيقة الدين.

وهكذا فإن شرعية السلطة هي الدين.. وأداة الدين هي السلطة.

إن واجب الدولة هو أن تدعو إلى كلمة الحق، وأن تدعو من خلال الإقناع، والاقتناع بهذا المفهوم لا بد أن يتحول إلى قواعد للممارسة في كل ما له صلة بنظرية التعامل السياسي في الحضارة الإسلامية.

وكذلك فإن البيعة كعقد سياسي مصدر للسلطة يتمركز حول عنصر أساسي هو وحده محور شرعيتها، وهو مضمون الممارسة للسلطة..

"وخصائص العلاقة السياسية في النموذج الإسلامي هي: أنها علاقة مباشرة لا تعرف الوسيط: فالعلاقة بين الحاكم والمحكوم هي علاقة بين اثنين يقف كل منهما من الآخر موقف مساواة، لا يفصل بينهما أية عقبات اجتماعية أو نظامية.

- أنها علاقة تابعة: تنبع من مفهوم العلاقة الدينية وتتحدد بها، حيث إن علاقة الإنسان المسلم بالكتاب الكريم هي التي تحدد خصائص العلاقة السياسية.

- أنها علاقة كفاحية: حيث إن مفهوم الدعوة ونشر تعاليم الإسلام الذي ينبع من طبيعة العلاقة الدينية يفرض على الفرد المسلم الدفاع عن المثالية الحركية، وبجميع الأدوات والوسائل.

- أنها علاقة مطلقة: لا تعرف التمييز والتنوع، والمقصود بالتنوع هنا التنوع الطبقي، أي: التدرج التصاعدي، وبالتالي فالتمييز بين الحاكم والمحكوم هو تمييز وظيفي لا ينبع من متغير الانتماء، ولا من متغير الاستمرارية الوراثية.

- أنها علاقة تتسم بالبساطة: فهي لم تعرف التجريد المثالي الذي عرفته الحضارة اليونانية، والتركيب النظامي الذي عرفته الحضارتان الرومانية والكاثوليكية، ولا الاستيعاب المطلق الذي عرفه نموذج الدولة القومية.

وبالتالي فإن النموذج الإسلامي يعبر عن مذاق خاص يجمع بين الفكر والحركة، ويخلق توازنًا معينًا بين الحاكم والمحكوم، ولا ينسى أن السيادة هي وليدة القوة، وأن القوة هي وحدها التي تحمي الشرعية.



والدولة هي مقتضى التوحيد؛ لأن الدولة هي الحُكم، والحكم هو مقتضى التوحيد.

والدولة هي التمكين للدين في الأرض، وهي الأداة الأساسية لإقامة الدين.

ولذلك جاء تعريف وظيفة الدولة في التصور السياسي بأنها: مجموع الأهداف التي يجب أن تسعى الإرادة السياسية إلى تحقيقها من خلال الأداة النظامية.

إن الدولة عندما تكون للدعوة.. فإن هذا معناه أن يكون الحاكم ونظام الحكم والمحكومين به.. أداة للدعوة.

بل تكون الدعوة قضية كل إنسان وحياة كل نسمة في دولة الدعوة, ومن أجل ذلك يجب أن تكون خطوط الحركة مشدودة إلى هدف إقامة الدولة.

وهذه الخطوط هي أخطر خطوط التصور السياسي للحركة الإسلامية:

الخط الأول: هو أن يكون لقيام الدولة الاعتبار الأول في منهج الحركة، وبحسب مقتضيات الواقع وطبيعة الظروف وبكل الإمكانات.

ولكن.. هذا الاعتبار لا يوقف كل كيان الحركة على هذا الهدف؛ إذ إن هناك أهدافًا موازية ضرورية في ذاتها بصفة شرعية، ومؤدية إلى هذا الهدف الأساسي بصفة حركية..

وأهم هذه الأهداف:

- رفع الالتباس عن الناس واستفاضة البلاغ -وهو هدف شرعي.

ولكنه -في نفس الوقت بالصفة الحركية- يعني تكوين القاعدة المؤيدة للدولة الإسلامية ونظام الحكم الإسلامي عندما يقوم.

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر -وهو هدف شرعي، ولكنه -في نفس الوقت بالصفة الحركية- يعني تهيئة الواقع الاجتماعي للإذعان لحكم الله.

- جمع الإمكانات لإقامة الدولة -وهو من إعداد القوة بالصفة الشرعية، ولكنه -في نفس الوقت بالصفة الحركية- يمثل الحماية التي تحمي الدولة من العجز الإداري والفني عند إقامة السلطة.

والشرط الأساسي في ممارسة تحقيق هذه الأهداف الموازية لهدف إقامة السلطة:

- هو ألا يطغى هدف بعينه على بقية الأهداف الموازية..

- وألا يطغى مجموع الأهداف الموازية على هدف إقامة السلطة، والإعداد لها بالصورة الحركية المباشرة.. لأن هذا الهدف له الاعتبار الأول في الدعوة..



الخط الثاني: هو أن يكون للمستضعفين في زمن الحركة الولاية في نظام الدولة؛ وذلك لأن الدولة والسلطة فتنة، فلا يجب أن يتعرض لها إلا من لا تضره بإذن الله..

فالمستضعفون هم الذين لا تضرهم الدنيا والسلطان بعد أن مروا بمرحلة الاستضعاف.. فتوليتهم حرز من فتنة السلطة، وهم -بقلوبهم البيضاء- خير من يحفظ أمانة السلطة.

(ب) المضمون الحضاري لدولة الدعوة "الحق":

فلكل حضارة مضمون.. والحركة صانعة الحضارة.. والحق هو مضمون الحركة الإسلامية وحضارتها، ومن هنا يتحدد مقتضى الحق كمضمون للحضارة الإسلامية الذي تنشأ عنه خصائصها المستمدة من **حركتها من البداية؛ لتكون هذه الخصائص:**

- العدل: متمثلاً في الوحدة في معايير السلوك، والوحدة في معايير التعامل.
- العالمية: فإن الحق الذي تتبناه الحضارة يجب أن يستوعب الواقع البشري جميعًا..
- البقاء: فإن مقتضى الحق الاستمرارية.
- القوة: فالحق مقتضاه من حيث التعامل السيطرة والظهور..

(ج) الصيغة السياسية للمضمون الحضاري:

إن قضية الخلافة هي القضية الإنسانية الأولى؛ لأنها ضبط للوجود الإنساني وفقًا لشرع الله -سبحانه.

فإننا إذ نحكم قومًا معينين في مكان معين بحكم الإسلام.. فإن ذلك قد يكون سهلاً إذا كان هؤلاء الناس يؤمنون بذلك ويرغبون فيه.

أما إقامة الخلافة التي تعني جمع كل البشر تحت نظام واحد.. فهو الأمر الذي يتطلب الدراسة الوافية.

لأنها الولاية على كل الأجناس، كل القارات، الذين يؤمنون، والذين لا يؤمنون، وبصورة إنسانية راقية.. يشعر فيها كل إنسان بأمنه وحقه ومكانته، رغم اختلاف الطبائع الفردية والجماعية والأممية.

ولأن هذه الولاية تقتضي اختيار الجماعة التي تقوم على عملية إنشاء هذه الولاية بدقة متناهية بخصائصها الأساسية: العدل، والعالمية، والبقاء، والقوة..

الباب الثاني

الممارسة السياسية

الفصل الأول

الموقف السياسي

(أ) الموقف السياسي "نقطة البدء":

الموقف السياسي هو النقطة المتحركة الصانعة للخط السياسي.

ولإنشاء الموقف السياسي عدة قواعد واعتبارات أهمها:

الترتيب الإجرائي:

1- الحكم الشرعي في مضمون الموقف "الفقه":

فلابد من الوقوف على حكم الشرع في كل تفاصيل الموقف قبل الشروع فيه.

2- الحفاظ على وحدة الجماعة:

فقد يكون الموقف صحيحًا شرعًا، ولكنه لا يحظى بإجماع الجماعة؛ حيث يسبب مجرد إعلانه انشقاقًا.. عندئذٍ يكون الأوْلَى ترك هذا الموقف حتى يتحقق الإجماع عليه.

3- تحقيق الهدف:

فيجب دراسة أثر الموقف في تحقيق الهدف العام للجماعة من ناحيتين:

النتيجة العملية، والهدف الدعائي.

فقد يكون للموقف أثر صحيح من الناحية العملية، ولكنه يسبب اهتزازًا لصورة الدعوة في نظر الناس، وهذا الذي جعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يقتل عبد الله بن أبي ابن سلول وهو مستحق للقتل قائلاً لعمر: "دَعْهُ! لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ".

ومن هنا كانت الترجيحات هي أساس إنشاء الموقف السياسي بعد ثبوت الترتيب الإجرائي.

كما يراعى في إنشاء الموقف.. الاعتبارات الأصلية الآتية:

1- التوافق بين الأسلوب والنتيجة:

والتوافق بين الأسلوب والنتيجة خصيصة من خصائص المنهج الإسلامي العام، فالإسلام منهجًا هو الإسلام أثرًا ونتيجة بغير تناقض.

بل إن النتيجة الصحيحة التي يمكن الوصول إليها بأسلوب غير صحيح محكوم عليها بالبطلان..

2- التوافق بين المبدأ والمصلحة:

إن أهم الحقائق المعروفة في الدعوة الإسلامية أنها دعوة مبادئ؛ وهذا ما سلَّم به أعداء الدعوة أنفسهم.. حتى إن أبا سفيان يُسأل عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمام هرقل -ولم يكن قد أسلم بعد- سؤالاً خطيرًا: أيغدر؟ قال: لا يغدر.

3- التوافق بين الوسيلة والغاية:

والوسائل -بعد الأساليب- يجب أن تكون من الإسلام ذاته، من أجل ذلك ردَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- مشركًا يريد القتال مع المسلمين قائلاً له: "نحن لا نستعين بمشرك".

الفصل الثاني

التحليل السياسي

الدلالة السياسية للموقف السياسي:

لابد أن يكون للموقف السياسي معناه الدال على الاتجاه أو الخط السياسي، وهذا المعنى هو ما نتفق على تسميته بـ"الدلالة السياسية".

والدلالة السياسية لا تتحدد إلا بالربط بين "الحدث.. وظروفه"، وبين "الحدث.. وفاعله"، ثم لا تتحدد إلا بتقدير آثاره المستقبلية في واقع الممارسة السياسية.

والدلالة السياسية.. منها العملي، ومنها القولي، ومنها الشخصي.

ونبدأ بطرح نماذج عامة للموقف السياسي الإسلامي وتفسير دلالاته السياسية:

1- دلالة سياسية تحققت بالكلام دون العمل:

- فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يومًا لعائشة: "يا عائشة، لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين؛ بابًا شرقيًّا وبابًا غربيًّا فبلغت به أساس إبراهيم".

ودلالة هذا الموقف هي تقرير الحق حتى لو كانت الظروف تمنع التطبيق؛ لأن هذا التقرير سيكون حجة لمن أراد التطبيق عندما تكون الظروف مناسبة..

2- تحقيق دلالة سياسية بأساليب غير مباشرة:

ومن أمثلة ذلك حادثة المرأة التي ترك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبيلتها وقاتل القبائل حولها، حين سقتهم المرأة, فقالت يومًا لقومها: ما أرى أن هؤلاء القوم يدَعونكم عمدًا، فهل لكم في الإسلام؟ فأطاعوها، فدخلوا في الإسلام.

ولعلنا نلاحظ من الحدث أن المسلمين فرضوا عليها فهمًا محددًا لموقف المسلمين من قبيلتها.. حتى فهمت المرأة دلالة الموقف فأسلمت هي وقومها.

3- استبدال الدلالة السلبية للحدث، بدلالة إيجابية:

- عن ابن عمر قال: كنا في غزاة فحاص الناس حيصة. قلنا: كيف نلقى النبي -صلى الله عليه وسلم، وقد فررنا من الزحف، وبؤنا بالغضب؟

فأتينا النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل صلاة الفجر، فخرج فقال: "من القوم"؟



فقلنا: نحن الفرارون. قال: "لا، بل أنتم العكارون"، "أي الكرارون"، فقبلنا يده، فقال: "أنا فئتكم وفئة المسلمين"، ثم قرأ (إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ) [الأنفال: 61].

- وفي غزوة أحد حيث وقف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد الغزوة وجمع المسلمين حوله ليردوا على أبي سفيان الذي أراد أن يحقق نتيجة سياسية للغزوة..

حتى إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سار وراء المشركين بالجيش وأقام ثلاث ليال حتى سميت غزوة حمراء الأسد، وكان في هذا -أيضًا- نفي دلالة سلبية وإثبات دلالة إيجابية.

4- تجريد حدث من دلالة مرفوضة وإثبات دلالة مقبولة:

بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- خيلاً قِبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "ما عندك يا ثمامة"؟ فقال: عندي خير يا محمد؛ إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فاسأل ما شئت، فتُرك حتى كان الغد ثم قال له: "ما عندك يا ثمامة"؟ قال: ما قلت لك؛ إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: "ما عندك يا ثمامة"؟ قال: عندي خير.

فقال: "أطلقوا ثمامة". فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله".

والملاحظة الأساسية في الحديث: أن ثمامة في اليوم الأول ذكر الدم والمال؛ لذا تركه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مربوطًا؛ لأنه لو أطلقه بعد ذكره الدم والمال لكان معنى الموقف أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد خاف قومه فأطلقه، أو طمع في الدية أو الفداء.

وفي اليوم الثاني أشار ثمامة إلى ما قاله في اليوم الأول، فلم يطلقه.

أما في اليوم الثالث فلم يذكر ثمامة الدم أو المال فقال: عندي خير فقال: "أطلقوا ثمامة".

إن القاعدة السياسية التي يتضمنها هذا الموقف هي شرط جوهري في الممارسة السياسية، وإنشاء الموقف السياسي.. وهو الوضوح، ومعناه: أن يكون للموقف تفسير واضح لا يحتمل غيره.

ولذلك ترك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثمامة حتى أصبح لإطلاق سراحه تعبيرُ واحد ومعنى واحد.. هو الإكرام الذي لا يختلط به معنى الخوف من الثأر أو الطمع في الدية.

5- حدث قام على حفظ وحدة الموقف:

ومن أخطر دلالات الموقف السياسي حفظ وحدة الموقف الإسلامي، فحينما غدر يهود

بني قريظة بالمسلمين في غزوة الخندق وتحالفوا مع المشركين.. كان لا بد من إجلائهم؛ لأن وجودهم كان مرهونًا بالمعاهدة التي كانت بينهم وبين رسول الله -صلى الله عليه وسلم.

ولكن تحالف اليهود مع الأنصار قبل دخول الرسول -صلى الله عليه وسلم، والذي لم يزل قائمًا بعد دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة- كان يمثل مشكلة خطيرة.. فما الموقف..؟!

كان الموقف السياسي.. هو إحالة أمرهم إلى الأنصار أنفسهم، فطلب منهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن ينزلوا على حكم من يختارون.

فكان من الطبيعي أن يكون اختيارهم من الأنصار باعتبار التحالف الذي بينهم؛ فاختاروا سعد بن معاذ سيد الأنصار.

فقال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء.

فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة".

6- توجيه أعداء الدعوة لما يناسب مصلحتها:

فعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أبي ومن كان معه يعبد الأوثان من الأوس والخزرج ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يومئذ بالمدينة: آويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لتقاتلنه أو لتخرجنه، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم ونسبي نساءكم..

فلما بلغ ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ! ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم؛ يريدون أن تقاتلوا بأبنائكم وإخوانكم" فلما سمعوا ذلك من النبي -صلى الله عليه وسلم- تفرقوا.

وهذا الموقف يتضمن قاعدة سياسية مهمة وهي توجيه أعداء الدعوة إلى اتخاذ الموقف المناسب للدعوة.. بمنطق المصلحة لهؤلاء الأعداء.

وبعد هذه النماذج.. تبقى المفاوضات والمعاهدات هي الاتجاه الجامع لتفسير معنى الدلالة السياسية، باعتبار أن المفاوضات والمعاهدات هي الموقف السياسي الجامع بين الاتجاه الإسلامي والجاهلي.

والدلالة الثابتة التقليدية للمعاهدات من أي طرف هي:

(1) إثبات وحدة الموقف.

(2) فرض الإرادة السياسية.

(3) تحقيق مكاسب عملية.



ومن الطرف الآخر يكون الهدف هو هدم هذه الأهداف وتضييع هذه الدلالات.

المناورة السياسية:

من صور الموقف السياسي.. المناورة السياسية، وهي اتخاذ إجراءات غير مباشرة للوصول إلى مواقف مباشرة مطلوبة ومحددة..

ففي غزوة الأحزاب، والمدينة تحت الحصار.. جاء الحارث الغطفاني يساوم النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا محمد، شاطرنا تمر المدينة, فلما شاور النبي الأنصار, رفضوا ونزل النبي على رأيهم, فقال الحارث: غدرت يا محمد.

فلما اتهم الغطفاني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالغدر.. كان لابد من نفي ذلك عنه بصورة إعلامية تساند موقفه وترد عنه، فقام حسان بن ثابت إليهم قائلاً:

يا حار من يغدر بذمة جاره أبدًا فإن محمدًا لا يغدر

وأمانة المرء حيث لقيتها كسر الزجاجة صدعها لا يجبر

إن تغدروا فالغدر من عاداتكم واللؤم ينبت في أصول السخبر

وبعد تفسير الموقف السياسي والمناورة السياسية يكون مصطلح المرحلة السياسية.. وهي مجموع المواقف السياسية المتجانسة في موضوع سياسي واحد خلال زمن محدد.



الفصل الثالث

أبعاد الممارسة السياسية

البعد الجماهيري :

والجماهير هم العامة، وهم عنصر أساسي من عناصر الأمة؛ حيث إن الأمة.. هي الحكم، والملأ، والعامة..

وهذا العنصر -العامة- هو المحقق لمعنى الأمة المرتبط بخصائصها القدرية.

وهذه الخصائص هي:

- العصمة: حيث قال النبي -صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يجمع أمَّتي على ضلالة".
- الرحمة: حيث قال النبي -صلى الله عليه وسلم: "أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ".
- النصر: حيث قال النبي -صلى الله عليه وسلم: "هذه الأمة منصورة".

وقال: "لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر هذا الدين لا يضرهم من خالفهم".

ومما يجب إدخاله في الاعتبار وجوبًا شرعيًا جوهريًّا هو أن العامة في دار الإسلام هي المقصودة -أساسًا- بهذا المصطلح، أما العامة في دار الكفر فلا تنطبق إلا على من كره ما عليه المجتمع من الكفر، وهذه هي البراءة المذكورة في قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "فمن كره فقد برئ، إلا من رضي وتابع"..

فلا يمكن أن نتصور أن مجموع الراضين عن الكفر والتابعين لأهله الملتصقين بهم في كفرهم، أو مجموع الهمج الرعاع أتباع كل ناعق هم المحققون لمصطلح السواد الأعظم.

قيمة التوجه للعامة:

والحقيقة أن التعامل مع العامة ترجع أهميته إلى ارتباطه المباشر بغاية الدعوة، وهي الهداية.

وذلك أن غاية الدعوة هي أن يؤمن الناس، وعندما يتمكن أصحاب الدعوة من التعامل المباشر مع الناس فإن هذا الأمر تكون له أهمية ضخمة قد تقترب من أهمية محاولة إقامة السلطة الإسلامية؛ لأن هدف هداية الناس هو أهم أسباب قيام هذه السلطة.

كما نعلم أن إسقاط الحكم الجاهلي هو إزاحة لأخطر أسباب منع وصول الحق إلى الناس، وعندما تنشأ ظروف الدعوة التي تتاح فيها إمكانية وصول الحق إلى الناس.. تكون قد تحققت نتيجة أصلية هي نفسها أهم نتائج إسقاط الحكم الجاهلي وإقامة الحكم الإسلامي.

ومن هنا كان من أهم معاني الفتح معاهدة الحديبية؛ لأن هذه المعاهدة هي التي أتاحت هذا الاتصال المباشر بين المسلمين والكفار، فحقق هذا الاتصال إيمان تسعة أعشار المسلمين الذين كانوا في فتح مكة، فسمَّى الله معاهدة الحديبية فتحًا مبينًا.

ومن هنا فإن التعامل المباشر مع الناس هو الذي يقطع على الشيطان هدفه في الإضلال العام.

وقد تكون مهمة إسقاط الحكم الجاهلي بالصفة الانقلابية أخطر وأشد؛ ولكن دعوة الناس مباشرة تستوعب أكبر عدد ممكن من هؤلاء الناس.

وهذا هو الذي يعطي لأسلوب الاتصال المباشر بالناس أهمية وقيمة.

مصلحة الجماهير:

والجماهير لها قضاياها.. وأولها الطعام والأمن!

واعتبار هذه القضايا عند مخاطبة الجماهير أمرًا واجبًا، ولكن الأمر المحظور حظرًا شديدًا هو تبني المطالب الاقتصادية للجماهير.. بصورة منفصلة عن قضية الدعوة الأساسية وهي العقيدة والتوحيد، حتى لا تتحول الدعوة بمنهجها إلى توجه اقتصادي يؤثر في صبغتها الربانية.

ومع ذلك فليس هناك ما يمنع من تفهيم الناس أن المشروع الإسلامي سيكون منطلقًا لتحقيق المصالح الاقتصادية للناس.

وبعد الطعام والأمان.. تبقى عوامل التأثير في العامة.

والقاعدة السياسية في تحقيق هذا التأثير.. هي تحقيق مقتضيات الكيان الصحيح للدعـــوة:

1- البطولة: وهي النموذج الإنساني السليم للتأسي والاقتداء إسلاميًّا.

2- التماسك: ويراجع فيه معاهدة الحديبية.

3 - التضحية والبذل.

4 - الثبات على العقيدة: الذي جعل مشركًا يسلم لما ضرب مسلمًا ليقتله، فسمعه يقول: فزت ورب الكعبة.

أما أساسيات التوجه من حيث الأسلوب الحركي ومن حيث قضايا التبليغ.. فإن الأسلوب الحركي في دعوة العامة قائم على قاعدة أن نغشى الناس، كما قال الصحابي للنبي -صلى الله عليه وسلم- عند قدومه إلى المدينة: "اغشنا في مجالسنا".



يجب أن نغشى الناس فنذهب إليهم بكثرة.. وليس مجرد التسلل إليهم.

ونغشاهم.. وليس مجرد لقاءات عابرة.

والهدف.. هو أن تعيش الجماهير واقع الدعوة الذي يستردهم من أسر الإعلام الجاهلي.. الجماهير أسيرة، والدعوة تتطلب إنقاذهم واستردادهم وفك أسرهم..

والوسيلة: هي أن تصبح دعوة الجماهير موازية ومقابلة لمكر الليل والنهار: السحر، البهارج، والألوان الشيطانية التي تأخذ عيون الناس..

ثم نأتي إلى الأساس في أسلوب عرض القضايا وهو البساطة.

الأمية:

والحد النهائي للبساطة هو مفهوم الأمية..

والأمية تعني التسليم بحقائق هذا الدين بغير مسلمات فكرية مسبقة؛ وعندئذ يخلو المتلقي من الخلط بين وحي السماء والثقافات الخاصة.

كما تكون البساطة أساسًا في أسلوب عرض قضايا الدعوة كذلك تفعل الجاهلية في مواجهة قضايا الدعوة.

لكن الجاهلية لن تتركنا والعامة، بل ستحول بيننا وبينها، وستمنعها عنا، وسترتكز الجاهلية في ذلك على خصائص الجماهير.

الارتكاز الجاهلي على خصائص الجماهير:

هذا هو النمرود الذي حاج إبراهيم في ربه يقول: "أنا أحيي وأميت".. فينتقل سيدنا إبراهيم إلى دليل آخر، ولم يكن هذا تسليمًا بإمكانية ذلك، ولكنه اليقين بإمكانية خداع الجماهير بأي صورة من الصور التي وردت في التفسير..

وهي أن يأتي باثنين محكومًا عليهما بالإعدام فيعدم أحدهما ويترك الآخر، ويقول: أنا أحيي وأميت، فتصرخ الجماهير بذلك الموقف الوهمي والمتحمسة لموقف الملك الكذاب!!

وكما يكون الارتكاز على بساطة الجماهير في الإضلال.. يكون الارتكاز على تحقيق العصبية الجماهيرية للجاهلية.. إن تحقيق عصبية العامة للحكم الجاهلي مهمة صعبة، ولكن الجاهلية تمارسها بكل دقة.

ونموذج تلك الممارسة هو الممارسة الفرعونية..

وعناصر تلك الممارسة هي أن يشعر العامة أنهم أصحاب السلطة "**شركاء في القرار**"، وهذه هي فكرة فرعون عندما قال: (فَمَاذَا تَأْمُرُونَ)[الأعراف: 110].



استيعاب: المشاركة في اتخاذ القرار..

المجالس النيابية..

الرأي في النكسة..

الرأي في الاتحاد الاشتراكي..

ويبلغ إحساس العامة بالسلطة الكاملة عندما يقول لهم فرعون: (ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى) [غافر: 62].. إن فرعون يقول للعامة: ذروني! مع أنه لا يوجد من يستطيع أن يمنعه.. يطلب فرعون من العامة أن يتركوه.. يطلب التفويض الشعبي في اتخاذ القرار المناسب تجاه موسى، وأن يشعر العامة أنهم أصحاب المصلحة (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ) [الأعراف: 011]. أن يشعر العامة أنهم أصحاب السياسة (وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) [طه: 36].. سياستكم ومذهبكم السياسي.

أن يشعر العامة أنهم أصحاب القضية والمبدأ (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ) [غافر: 62].

أن يشعر العامة أنهم حماة الواقع وأصحاب الإصلاح.

إن أهم عناصر العصبية هي إنشاء الخوف على النظام الحاكم في نفوس الناس؛ ولذلك يعبر الناس عن الخوف قائلين: (تَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ) [الأعراف: 721].

وحينئذٍ يكون واجب النظام هو طمأنة الناس: (قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ).

رومن أهم عناصر العصبية أن يشعروا بأنهم محور النظام، ومن هنا كان الضمير يعود على الناس: "أرضكم - طريقتكم - دينكم...".

فكان أول ما فعله فرعون: نداؤه في قومه، والكثرة لها رونق عند النداء، وأثر في العقول، وتلك طبيعة العقل الجماعي الباطل الذي يعتبر الجمع في ذاته معيارًا للحق..!

(أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ). وهكذا يستمد الشرعية لحكمه من استقرار وضعه.. (وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي).

وحركة الأنهار من تحته تساهم مساهمة ضخمة في تأكيد معنى السيادة والاستقرار.. (أَفَلا تُبْصِرُونَ).

تضليل.. واستفزاز لقبول الضلال.. (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ).. ولا بد أن المقارنة ستكون لصالحه عندهم؛ لأنه ملكهم ورمز حياتهم ومثال قوتهم.. وهذا ما





فعله فيهم وبهم.

وبذلك يتبين أن إطار التعامل الجاهلي مع الجماهير يقوم على البساطة المرتكزة على سذاجة الجماهير في إضلالهم وتحقيق عصبيتهم للضلال عن الحق.

وبعد عرض البعد الجماهيري للتصور السياسي.. قيمته وضرورته وأسس ممارسته، **فإنه يجب أن يتقرر:**

أن العمل الجماهيري لا يمثل بديلاً عن العمل العسكري ولا مقابلاً له ولا مؤثرًا فيه..

لأن حسابات العمل الجماهيري قائمة على هدف استيعاب "القوة الجاهلية" في تيار الحركة الإسلامية، أما هدف العمل العسكري فهو إضعاف هذه القوة وإفناؤها.

وفي حالة العمل الجماهيري المحقق "لاستيعاب" القوة الجاهلية، وفي حالة العمل العسكري المحقق "لإفناء" القوة الجاهلية التي لم يستوعبها العمل الجماهيري.. لن تقوى "الجاهلية" على منع إقامة الحكم الإسلامي.

ولكن السنة الثابتة للتدافع بين الجاهلية والإسلام لن تترك التيار الإسلامي يستوعب الواقع الجاهلي بجماهيره وقوته دون أن تمنعه.

ومن هنا نشأ مفهوم حتمية العمل العسكري.. بحيث يصل هو الآخر إلى مرحلة السنة الثابتة للعمل الإسلامي.

ولذلك قرر ورقة بن نوفل لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- حقيقة المعاداة باعتبارها سنة ثابتة من سنن الثوابت، وليس باعتبارها حقيقة مستخلصة من خبرة الواقع.

فكانت حقيقة التدافع هي الحقيقة الأولى التي قالها النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد حقيقة الوحي من حديث ورقة، إذ قال له بعد إخباره بالنبوة: يا ليتني كنت جذعًا إذ يخرجك قومك. قال: "أوَمخرجيَّ هم"؟!

قال: نعم.. ما أتى أحد بمثل ما أتيت به إلا أُخرج وعُودي.

البعد العسكري:

سياسة القــوة:

وهذا البعد من أخطر أبعاد التصور السياسي للحركة الإسلامية؛ وذلك لأن المستقر في الأذهان أن السياسة تقابل القوة، ولكن التصور السياسي يتضمن أن هذه السياسة توافق القوة أو توازيها في مهمة تحقيق الغاية النهائية للدعوة، ومن هذه الحقيقة ينطلق هذا البعد.

والتفسير السياسي للعمل العسكري يقوم على عدة عناصر:

- تحديد أهمية العمل العسكري قياسًا على الأبعاد الأخرى لمنهج الدعوة.
- تحديد ضرورة العمل العسكري وفقًا لظروف وواقع الدعوة.
- تحليل عناصر الممارسة العسكرية للاستفادة بفاعليتها في حال توقف الممارسة الفعلية للعمل العسكري كضرورة سياسية.

أما تحقيق ذلك في مجال الممارسة فإنه يقتضي عدة أمور:

- تحليل القوة العسكرية إلى عناصرها الأساسية في التنفيذ.
- الاستفادة بهذه العناصر بغرض التأثير في الواقع الجاهلي في حال توقف الممارسة الفعلية للقوة كضرورة سياسية.

وتفسير ذلك:

أن الجاهلية تعتبر الحركة الإسلامية قوة سياسية طالما أيقنت بقدرتها على الممارسة العسكرية.

والقوة العسكرية لها عناصر لا تقوم إلا بها، وإدراك الجاهلية لتوافر هذه العناصر لدى الحركة الإسلامية ينشئ تأثيرًا عند الجاهلية لا يقل شأنًا عن الممارسة الفعلية للقوة العسكرية.

وهذه العناصر هي:

- الزعامة.. والولاء المطلق لها.
- القوة والمستوى المرتفع للكفاءة العملية.
- الاستعداد التام للبذل والتضحية.

كذلك تحليل القوة العسكرية إلى عناصرها الأساسية في التأثير وتحقيق هذه العناصر بصورة مباشرة في الواقع.. فتحقق آثار القوة العسكرية دون ممارستها وأهمها الرهبة وفرض الإرادة..

ولما كان تحقيق هذه العناصر في واقع الدعوة -سياسيًّا- يعتبر أهم ضرورات التصور السياسي للقوة؛ لذلك كانت المعاهدات باعتبارها مجالاً للربط بين السياسة والقوة هي -أيضًا- المجال الفعلي لإبراز هذه العناصر في الواقع.. مثلما كان في معاهدة الحديبية، حيث تحقق فيها مجمل العناصر المذكورة.

كما تقول كتب السيرة: خرج عروة بن مسعود زعيم ثقيف حتى أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم، فجلس بين يديه ثم قال:

يَا مُحَمّدُ.. أَجَمَعْت أَوْشَابَ النّاسِ ثُمّ جِئْت بِهِمْ إلَى بَيْضَتِك لِتَفُضّهَا بِهِمْ؟!





محاولة التأثير في حقيقة الجماعة فيصف المؤمنين برسول الله -صلى الله عليه وسلم- المجتمعين حوله، التاركين لأهلهم وديارهم، نُزَّاع القبائل.. بقوله: "أوشاب الناس".

ثم يقول:

إنّهَا قُرَيْشُ قَدْ خَرَجَتْ مَعَهَا العُوذُ المَطَافِيلُ.. قَدْ لَبِسُوا جُلُودَ النّمُورِ، يُعَاهِدُونَ اللَّه لا تَدْخُلُهَا عَلَيْهِمْ عَنْوَةً أَبَدًا.. وَايْمُ اللّه لَكَأنّي بِهَؤُلاءِ قَدْ انْكَشَفُوا عَنْك غَدًا.

محاولة التخويف بأشد الأساليب.

قال: وأبو بكر الصديق خلف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قاعد، فقال: امْصُصْ بَظْرَ اللاتِ، أَنَحْنُ نَنكَشّفُ عَنْهُ؟!

ولم يجد أبو بكر -رضي الله عنه- أمام تلك المحاولات وهذه الأساليب للتعبير عن الرفض إلا تلك العبارة.

فالإيمان العميق القوي أمام هذا المكر الخطير السخيف هو الذي أنطق أبا بكر.. أنحن ننكشف عنه؟!

قال: مَنْ هَذَا يَا مُحَمّدُ؟ قَالَ: "هَذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ". قَالَ: أَمَا وَاَللّهِ لَوْلا يَدٌ كَانَتْ لَك عِنْدِي لَكَافَأْتُك بِهَا، وَلَكِنّ هَذِهِ بِهَا.

وتستمر المحاولة الكافرة الفاجرة..

قال: ثُمّ جَعَلَ يَتَنَاوَلُ لِحْيَةَ رَسُولِ الله -صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ يُكَلّمُهُ..

محاولة التأثير في مهابة رسول الله وشخصيته المبجلة في نفوس أصحابه..

فيعبر صحابي آخر عن رفض المحاولة، ولكن ليس بالكلام مثل أبي بكر ولكن باليد..

وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ وَاقِفٌ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللّه -صلى الله عليه وسلم- في الحَدِيدِ.. قَالَ: فَجَعَلَ يَقْرَعُ يَدَهُ إذَا تَنَاوَلَ لِحْيَةَ رَسُولِ اللّه -صلى الله عليه وسلم- وَيَقُولُ: اكْفُفْ يَدَك عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللّه -صلى الله عليه وسلم- قَبْلَ أَنْ لا تَصِلَ إلَيْك..

فيقول عروة: وَيْحَك! مَا أَفَظّك وَأَغْلَظَك!

فَتَبَسّمَ رَسُولُ اللّه -صلى الله عليه وسلم..

تبسم رسول الله.. لأن شخص صاحب الرد أبلغ من فعله.

فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ: مَنْ هَذَا يَا مُحَمّدُ؟

فكانت الإجابة التي زلزلت الكافر.

قَالَ: هَذَا ابْنُ أَخِيك المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ..!



قَالَ: أَيْ غُدَرُ! وَهَلْ غَسَلْت سَوْءَتَك إلاّ بِالأَمْسِ؟!

فقام من عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقد رأى ما يصنع به أصحابه..

بعد كل ما قاله.. العوذ المطافيل.. وجلد النمور وكل العبارات الخائبة..

- أبو بكر يقول كلمته..

- والمغيرة يضربه..

- والرسول يبتسم..

ثم.. قَامَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَقَدْ رَأَى مَا يَصْنَعُ بِهِ أَصْحَابُهُ:

لا يَتَوَضّأُ إلاّ ابْتَدَرُوا وَضُوءَهُ..

وَلا يَبْصُقُ بُصَاقًا إلاّ ابْتَدَرُوهُ..

وَلا يَسْقُطُ مِنْ شَعْرِهِ شَيْءُ إلا أَخَذُوهُ..!

فرجع إلى قريش فقال: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! إنّي قَدْ جِئْت كِسْرَى فِي مُلْكِهِ، وَقَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ، وَالنّجَاشِيّ فِي مُلْكِهِ..

فنكتشف من قوله سر اختيار قريش لهذا الرجل.. إنه جليس الملوك، خبير المعاهدات.. أقصى إمكانية سياسية لدى قريش في هذا الموقف العصيب.

وها هو يتكلم ويقول رأيه النهائي:

وَإِنّي وَاَللهِ مَا رَأَيْت مَلِكًا فِي قَوْمٍ قَطّ مِثْلَ مُحَمّدٍ فِي أَصْحَابِه، وَلَقَدْ رَأَيْت قَوْمًا لا يُسْلِمُونَهُ لِشَيْءِ أَبَدًا، فروا رَأْيَكُمْ!

فتلك هي العناصر القاتلة للجاهلية.. المسلمون مقاتلون في كل لحظة، ولا ينتظرون فقط إلا الإذن بالقتال، وهذا تفسير التسوية بين من قضى نحبه ومن ينتظر.. بين من قاتل ومن ينتظر القتال، فلكليهما نفس الأثر في قلوب الأعداء.. وبذلك يكون للسياسة أثر الدماء في تحقيق الهدف.

حماية الدعوة من الاصطباغ بالصبغة العسكرية البحتة:

ولا نعني بذلك نفي هذه الصبغة، ولكن نعني طغيان هذه الصبغة على الدعوة كحركة هداية ورحمة..

وبذلك يعني مفهوم سياسة القوة:

الحفاظ على الهدف النهائي للدعوة من خلال خط الممارسة العسكرية، بحيث لا تنفصل هذه الممارسة عن هذا الهدف النهائي.. وذلك باعتبار أن السياسة هي التي تتبنى تحقيق

هذا الهدف من خلال أساليب الحركة المتعددة.

إن تقرير مبدأ القوة في التصور السياسي لا يعني أن توقفها تخلٍّ عن مبدأ من مبادئ الدعوة؛ لأن الممارسة والتوقف مرتبط بالهدف والواقع.. والتصور السياسي هو الحكم المنهجي لتلك الممارسة.

إن تحقيق التعاطف بتحقيق المنفعة والإقناع العقلي والقدوة الصالحة والصبر على الأذى والبذل والتضحية.. هو الأساس في إقامة سلطان الحق على النفوس.

وكلها عوامل محققة لغاية الهداية، والقوة واحدة من هذه العوامل.

ولما كانت الهداية هي الهدف النهائي للدعوة.. كانت كذلك هي القيمة العليا للممارسة السياسية، وكانت سياسة القوة هي تحقيق الهداية بالقتال.

ومقتضى ذلك يمثل أهم عناصر سياسة القوة:

- التبليغ قبل القتال.
- دعوة الأسرى.
- قبول استجارة المشرك.
- الجنوح للسلم إذا جنحوا له.
- قبول توبة من لم تصله يد القدرة.

وفي إطار حماية الدعوة من الاصطباغ بالصبغة العسكرية البحتة.. تتحدد العلاقة بين أساليب الحركة المتعددة والهادفة إلى تحقيق الغاية النهائية للدعوة بأساس نفسي ثابت.

وفي هذا الإطار تتحدد العلاقة بين أساليب الحركة المتعددة، والهادفة إلى تحقيق الغاية النهائية للدعوة.. ومنها القوة.

فتحقيق التعاطف بتحقيق المنفعة والإقناع العقلي والقدوة الصالحة والصبر على الأذى والبذل والتضحية.. هو الأساس في إقامة سلطان الحق على النفوس.

وكلها عوامل محققة لغاية الهداية، والقوة واحدة من هذه العوامل.

وبذلك يكون تحقيق هذه العوامل مع مجمل العناصر المذكورة الناشئة عن تحليل القوة العسكرية تنفيذًا أو تأثيرًا هي إطار التصور السياسي للقوة.

ومن هنا يتحقق التوازن بين تلك العوامل في واقع الممارسة بأساس نفسي ثابت.

ووصايا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- **هي الدليل على هذه الحقيقة:**

- حديث جرير بن عبد الله الذي دعا له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالثبات على



الخيل في القتال، مع الدعاء له بأن يكون هاديًا مهديًّا.

- وفي فتح مكة حين قال سعد بن عبادة لأبي سفيان: اليوم يوم الملحمة، وعلم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بكلمة سعد فقال: "اليوم يوم المرحمة".

البعد الاجتماعي:

اتفقنا في النظرية السياسية على أن التوافق بين الواقع الحركي والاجتماعي يعتبر شرطًا أساسيًّا في صحتها، وهذا التوافق هو الذي تحاول الجاهلية القضاء عليه، من خلال إنشاء التناقض بين الجانب الحركي والجانب الاجتماعي للدعوة.

والتناقض الذي تحاول الجاهلية إنشاءه يتمثل بصورة أساسية في الإسقاط الاجتماعي للدعوة، هذا الإسقاط الذي يُظهِر الدعوة بصورة متردية ومنحطة، لا تتوافق مع مستوى قضية الدعوة وواقعها الحركي.

ومحاولة الإسقاط الاجتماعي للدعوة أسهل من مواجهتها فكريًّا؛ ذلك لأن هذه المحاولة سيكون التعامل فيها مع الإنسان بضعفه ونقائصه، الأمر الذي يختلف عن المواجهة الفكرية التي سيكون التعامل فيها مع النصوص الشرعية الثابتة.

ومحاولة الإسقاط الاجتماعي للدعوة بدأت من الأيام الأولى..

وكانت هذه البداية هي وضع واقع الدعوة في ميزان التصور الاجتماعي الجاهلي.

فاعتبرت الجاهلية أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أبتر؛ لأنه لا ولد له.

كما اعتبرت النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يستحق النبوة؛ لأنه ليس رجلاً من القريتين عظيم.

واعتبرت أن الدعوة ليست صحيحة؛ لأن أتباعها فقراء.

ولكن هذه البداية لم تنجح؛ لأن الدعوة فرضت تصورها الاجتماعي، وأسقطت التصور الاجتماعي الجاهلي ذاته.

وإذا التقطنا هذا الخيط فإننا ندرك أن واقع الدعوة -منذ البداية حتى الواقع القائم الآن- كان محاولة لتحقيق التوافق بين الجانب الحركي والاجتماعي بإنشاء الواقع الاجتماعي المتناسب مع القضية الإسلامية فكريًّا وحركيًّا.

وكان من ناحية الجاهلية هو إحداث التناقض بين هذين الجانبين بإسقاط الدعوة اجتماعيًّا، وبهذا الإدراك يمكننا تحليل الواقع القائم الآن للدعوة بقدر من التفصيل.

- فمن ناحية الدعوة تَمثَّل الخلل الاجتماعي -أول ما تمثل- في مجرد إعلان الولاء للتجمع



واتجاهه من جانب الأفراد المنتمين إلى الدعوة لتحقيق الارتباط العضوي بالتجمع دون النظر إلى الجانب التربوي والأخلاقي لهؤلاء الأفراد.

وكانت هذه مرحلة وسط بين الوضع المثالي ووضع الانحطاط الكامل المتمثل في المرحلة الثالثة.. وهي مرحلة الانتساب إلى الاتجاه الإسلامي بمجرد الهَدْيِ الظاهر: "الجلباب - اللحية - الحجاب"..

وكان مدخل هؤلاء المنتسبين هو مجرد هذا الالتزام الشكلي.. دون أن يكون هناك الكيان المستقطب القائم على مهمة التربية والتأصيل الأخلاقي.

- يضاف إلى هذا الخطر خطر آخر يساويه، وهو الشعور غير الشرعي بالذات، الناشئ عن الاعتزاز بالانتساب للدعوة صاحبة الأحداث المؤثرة في الواقع.

هذا الاعتزاز الذي نشأ من غير مشاركة فعلية في الأحداث وتحمل مسئوليتها.. والذي سبب ضررًا نفسيًّا بالغًا؛ لأنه اعتزاز بالانتساب الذي يفتقد المسئولية والتضحية والبذل.

هذا الشعور الذي أضاع الفضل الحقيقي لأصحابه في واقع الدعوة مما أحدث اضطرابًا في العلاقات الاجتماعية، وأحدث هذا الاضطراب بدوره ظاهرة الفوضى الاجتماعية التي تعاني منها الدعوة معاناة شديدة.

فأصبح الجميع دعاة وذوي تاريخ..!!

الأمر الذي يتنافى مع قاعدة ارتباط الفضل الاجتماعي في واقع الدعوة بالسبق والتضحية والعمل في سبيل الله..

ثم يضاف إلى شكلية الالتزام، وضياع حق أصحاب الفضل في واقع الدعوة:

خط التشتت الاجتماعي المترتب على معاناة الاعتقالات والسجون، والاحتياج المادي الذي يسبب الإرهاق النفسي الشديد.

ثم كان الخطر الأكبر من خلال إنشاء العلاقات الزوجية تحت مظلة هذه الأخطار المتعددة..

ثم يأتي بعد ذلك الدور الجاهلي القائم على استغلال هذه الأوضاع بأبشع صور ممكنة..

أما من ناحية الجاهلية فقد جاء منها أخطر الأساليب في محاولة الإسقاط الاجتماعي للدعوة، وهي تحريض العناصر الفاسدة على التشبه بالمظهر الإسلامي مع تحريفه، بحيث تسقط مهابة هذا المظهر من نفوس الناس، ويضيع تقديرهم لسماتهم وشكلهم.

وسواء كان انتشار هذه العناصر أمرًا مقصودًا أو حدث بصورة تلقائية فإن النتيجة واحدة.

فكيف تحمي الدعوة نفسها من هذه النتيجة؟

لقد كان الإسلام قادرًا على حماية نفسه من هذه النتيجة يوم كان حكمه غالبًا وأحكامه سائدة، وكان أهم هذه الأحكام هو منع غير المسلمين من التشبه بالمسلمين.

وكان من أخطر هذه الأساليب الجاهلية كذلك هي إيقاع الضرر على العامة وتفسير هذا الضرر على أنه نتيجة حتمية للدعوة؛ ليحدث الانفصال بين العامة والدعوة..

مثل المقاطعة الاجتماعية التي فرضتها قريش على بني عبد المطلب؛ حتى يمارسوا ضغطًا على أصحاب الدعوة.

ولعل حادثة مقاطعة بني عبد المطلب بإيقاع أضرار عليهم بصفة عامة بسبب أصحاب الدعوة لإيجاد الكُرْه، وإنشاء الحاجز.. مثال تاريخي على هذا الأسلوب.

مفهوم الدفاع الاجتماعي:

والآن لا بد من الدفاع الاجتماعي عن الدعوة.

وهذا المفهوم له عناصر يمكن تحديدها من خلال المحاولة التي تمارسها الجاهلية لإسقاط الدعوة اجتماعيًّا.

وقد اتفقنا أن أول تلك العناصر هو افتقاد الكيان الواحد المسيطر على الامتداد الاجتماعي، ولما كان وجود الكيان الواحد مرتبطًا بمشكلة الفكر والمنهج.. فإن المعالجة الاجتماعية يجب أن تنفصل عن هذه المشكلة.. بمعنى ضرورة إنشاء سلطة اجتماعية تتولى مواجهة المشكلات الاجتماعية في إطار بعيد عن مشكلة الاختلاف الفكري.

وهذا ما فسره الإمام الجويني حيث قال في كتاب "غياث الأمم في التياث الظلم": أن يتولى كل عالم في ناحية من النواحي، أو حي من الأحياء السلطة المفقودة للأمراء في هذا الحي.

ثم تأتي مواجهة ضياع حق أصحاب الفضل بترسيخ قواعد التعامل الاجتماعي المحددة لهذا الحق:

- حق العلماء الذي يوجب تقديمهم وتوقيرهم وإيثارهم على أنفسنا.
- حق أصحاب السبق الزمني، وهو المقرر في قول الله -سبحانه وتعالى: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ) [التوبة: 100].
- ومفهوم الدفاع الاجتماعي يوجب تحديد أساس التعامل الاجتماعي بين أصحاب الدعوة والواقع القائم.



حقيقة الاستضعاف:

- ومما يجب الحذر منه.. أن تؤثر الضخامة العددية لأصحاب الدعوة على الإحساس بالاستضعاف؛ لأن الضخامة العددية تسبب اعتزازًا وثقة تؤثر في أسلوب معالجة المشكلات العارضة بين أفراد الدعوة والجاهلية.

فالاستضعاف هو مرحلة ما قبل الوصول للسلطة، حتى لو كان هناك قوة شخصية أو كثرة عددية.

ومعالجة المشكلة العارضة يجب أن ترتبط بمرحلة الاستضعاف للدعوة ولا يجوز تجاوزها.

وقد يكون للقوة الشخصية نفس أثر الضخامة العددية في إضعاف الشعور بالاستضعاف.

وهذا عمر بن الخطاب لم يكن يدانيه أحد في قوته الشخصية، حتى إنه هدد من يحاول تتبعه في الهجرة فقال: "من أراد أن تثكله أمه، ويؤتم ولده، وترمل زوجته.. فليلقني وراء هذا الوادي، فما تبعه منهم أحد".

ومع ذلك كان مستضعفًا؛ لأنه كان مرتبطًا بالجماعة المستضعفة التي لم يُمَكن لها بعد.

الدفاع الاجتماعي يبدأ من بيت الدعوة:

ومن أهم الحقائق المفترضة في صراعنا مع الجاهلية أنه صراع اجتماعي، قائم بين واقع إسلامي وواقع جاهلي.

وافتراض هذه الحقيقة يحتم أن يدخل المسلمون بتلك الصفة الاجتماعية في كل مراحل الصراع.. من لحظة الاستضعاف إلى فرصة التمكين ووقت الامتداد.

والدخول بالأسرة المسلمة في مجال الصراع باعتبارها الواقع الاجتماعي للفرد الداعية.. هو الوسيلة الأساسية لتحقيق الصفة الاجتماعية لواقع الدعوة في هذا الصراع.

البعد الاقتصادي:

والبعد الاقتصادي للنظرية السياسية بُعدٌ منطقي؛ لأن المال له قوة نفسية واجتماعية بلغت حد الأثر في العقيدة والإيمان الذي أنشأ الخوف الشديد على أصحاب الدعوة من فتنة المال.

ومن أجل هذا التأثير نستطيع أن نقول: إن أخطر أحداث الدعوة كان إنفاق عثمان بن عفان قافلته على المسلمين، وإن أخطر أحداثها من الجانب الآخر كان قرار مقاطعة قريش لبني عبد مناف الاقتصادية.

وليس أدل على أثر الاقتصاد السياسي من دعاء موسى بحسم الصراع بينه وبين فرعون في قوله -سبحانه: (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا



العَذَابَ الأَلِيمَ) [يونس: 88].

وكذلك دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- بحسم الصراع مع قريش بقوله: "اللهم أعني عليهم بسنين كسني يوسف"، وفي رواية: "بسبع كسبع يوسف".

ولأجل هذا الأثر الاقتصادي على الدعوة كانت العلاقة بين الممارسة الاقتصادية والسياسية تلقائية في فهم الصحابة.

وهذا ثمامة يرجع إلى قومه مسلمًا يعلن لهم إسلامه ويعلن لقريش مع إسلامه: لقد أسلمت، ولن تأخذوا حبة قمح حتى يأذن لكم فيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم.

والحقيقة أن العلاقة بين الاقتصاد والسياسة هي نفسها العلاقة بين العمل العسكري والسياسة، وذلك في مضمون فرض الإرادة.

فكما أن التصور العسكري يفرض إرادة المنتصر، فإن الجزية هي التي تبقي على فرض تلك الإرادة.

من أجل ذلك كان اعتبار عنصر المال من أخطر عناصر الدعوة المحققة لأهدافها، ولكن هذا العنصر المهم في ذاته تعتبر نتيجته خطيرة في ذاتها؛ لأن المال هو فتنة هذه الأمة كما قال الرسول -صلى الله عليه وسلم: "إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال".

وعند تعميق الإحساس بخطر المال في واقع الدعوة لن تجد أشد من هذا الموقف الذي نرى فيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ينظر إلى الناقتين اللتين أعدهما أبو بكر للهجرة وهو يقول له: "بالثمن يا أبا بكر".

إن الظروف أكبر وأقوى من أن يذكر فيه المال..

لأنهما اثنان مطلوب موتهما يُعدان أسباب نجاتهما..

ولكنها النبوة التي تضع الأسس وترسي القواعد: "بالثمن يا أبا بكر".

البعد القدري:

ومناقشة البعد القدري للنظرية السياسية يعتبر من أهم المناقشات؛ لأن الفكر السياسي يتميز ببروز الإعمال العقلي والارتباط بالواقع، والبعد القدري هو البعد المقابل لهاتين الميزتين في الفكر السياسي.

ذلك لأن ربانية الدعوة الإسلامية وارتباطها بقدر الله وسننه الثابتة جعل هذا الارتباط في أصل النظرية السياسية.



الفكر والقدر:

وبعد أن اتفقنا على ضرورة الإحكام الفكري بتحديد العلاقة بين الحقائق، نريد أن نتفق على تحديد العلاقة بين الفكر ذاته بعد إحكامه وبين القدر الإلهي، باعتبار أن قيام الواقع الإسلامي يرجع في النهاية إلى قدر الله ولا يرجع إلى التفكير البشري المحدد لقيام هذا الواقع.

ولذلك يقول ابن القيم في تعريف الحكمة: "الحكمة حكمتان، عملية وعلمية، فالعلمية الاطلاع على بواطن الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقًا وأمرًا، قدرًا أو شرعًا".

وحقيقة أن قيام الواقع الإسلامي يرجع في النهاية إلى قدر الله، بديهة يدركها كل داعية، ولكن هذا الإدراك غالبًا ما يكون مجرد مبدأً نظريًّا لا يؤثر في واقع الحركة من حيث تحديد المنهج أو أسلوب العمل.

العلاقة الواقعية بين القدر الإلهي.. والفكر البشري:

والعلاقة بين الفكر والقدر تحددها -من حيث الواقع- عدة حقائق:

- أن التفكير البشري مجرد سبب قد يحدث القدر بدونه، وقد يحدث بما يخالفه. وهذا لوط -عليه السلام- يبحث بتفكيره عن ركن شديد فيقول: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آَوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[هود: 08]، بينما كان الله يأويه بقدره، وهو ركنه الشديد، فيقول الرسول -صلى الله عليه وسلم: "يَرْحَمُ اللهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ".

وهذا معناه أن قدر إيواء الله له تحقق فيه دون تفكير مباشر منه.

العلاقة المنهجية بين القدر الإلهي.. والفكر البشري:

وأمَّا من حيث المنهج، فإن العلاقة بين القدر والفكر تتحدد من خلال عدة أمور:

الأول: أن التكاليف الشرعية هي التي تتضمن الأسباب القدرية لتحقيق الواقع، فإن الخطأ الشرعي في مجال الدعوة يعني استحالة أو تأخير تحقيق هذا الواقع.

وليس لهذه القاعدة أي استثناء..

وهذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تسأله اليهود عن الروح فيقول: "سأخبركم غدًا"، ولا يقول: إن شاء الله؛ فلا ينزل الوحي إلا بعد فترة الرسول -صلى الله عليه وسلم- يحزن فيها حزنًا شديدًا، ويقول فيها اليهود: ذهب عنه شيطانه.

ولما نزل الوحي بالإجابة.. نزل ومعه تصحيح وتحديد السبب الذي من أجله تأخر النزول.

الثاني: تحديد السنن القدرية الثابتة وذلك بنصوص الكتاب والسنة لتحقيق التوافق معها

في مجال الحركة الإسلامية، وقد وضح هذا التوافق وضوحًا كاملاً في التحرك الإسلامي الأول وبالتحديد في مجال القتال..

حيث كان الأسلوب القتالي مرتبطًا بسنن إهلاك الكفار، لتحقيق المعنى القدري للقتال، وهو أنه عذاب الله للكفار بأيدي المسلمين: (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) [التوبة: 41].

أما الأمر الثالث: فهو أن الاستدلال بالنصوص الإخبارية عما سيكون في آخر الزمان وأشراط الساعة لا يكون باعتبار أنها نصوص تكليفية، بل باعتبارها أقدارًا غيبية لا يلزمنا الاحتجاج بها..

أما النصوص التكليفية فهي مدار هذا التأصيل..

والأمر الرابع: هو رفض التفكير البشري البحت الذي لا يقوم على أصل شرعي أو سنة قدرية ثابتة، فهذا التفكير هو الذي سيتحول بالدعوة إلى حركة مادية، ويفقدها صفة الربانية.

ولهذا نجد في واقع الدعوة الصحيح المواقف التي تؤكد صفة الربانية بصورة واضحة.

فعند تحليل الأحداث من المنظور المادي البحت يظهر ارتباط الأحداث ببعضها كسبب ونتيجة، وفعل ورد فعل، ودوافع وأغراض، وعلاقة الحدث بأصحابه وظروفهم..

ولكن من المنظور القدري من حيث علاقة الأحداث بالسنن الثابتة وأحاديث آخر الزمان، **نجد تحليل الواقع الجاهلي العام على مستوى العالم له عناصر أساسية أهمها:**

1- الهيمنة الصليبية المتمثلة في زعامة أمريكا وأوربا للعالم.

2- العلو اليهودي.

3- العمالة والكفر على مستوى الحكومات المسيطرة على مواقع الدعوة.

4- الفقر والجهل على مستوى الشعوب المحيطة بمواقع الدعوة.

فنجد أن عناصر هذا التحليل المادي للواقع الجاهلي تؤكد اجتماع الجاهلية وتحزبها بكل مستوياتها العالمية الحكومية والشعبية ضد الدعوة؛ مما قد يحدث في نفوس الدعاة منتهى اليأس والإحباط.

فيأتي المنظور القدري فيحقق غاية الرجاء من خلال إثبات سنة الله الثابتة بهزيمة الأحزاب، من هنا استبشر الرسول -صلى الله عليه وسلم- لما اجتمعت الأحزاب عليه؛ لأن تحزب الأحزاب معناه تحقيق فعل من أفعال الله القدرية وهو هزيمة الأحزاب.

وبذلك يصبح التصور القدري للأحداث بعدًا أساسيًّا من أبعاد النظرية السياسية.. هذا من



حيث علاقة التصور القدري بالتحليل السياسي.

والواقع: أن البعد القدري للنظرية السياسية.. كان أساسًا حتميًّا لتحليل مواقف متعددة في تاريخ الدعوة، ما كان لنا أن ندركها إلا من خلال هذا البعد.

البعد القدري والرؤية المستقبلية

ومن أخطر قضايا البعد القدري للتصور السياسي تحديد الرؤية المستقبلية للدعوة.. باعتبار أنها قضية غيبية تنبني على واقع، ولا يجوز فيها الاكتفاء بدراسة الواقع لاستنباط اتجاهات المستقبل من خلاله فقط، ولا مجرد الإحالة إلى النصوص الغيبية، وتعليق العمل المنهجي على تحقق النبوءات، ولكن يكون بالإحكام المنهجي بينهما.

وأبرز تطبيقات هذا الإحكام.. ربط منهج الدعوة بعلامات الساعة، وأساسها أحاديث الفتن والملاحم؛ ومنها الملحمة التي تكون بين المسلمين والصليبيين، حيث تجتمع كل عناصر الصراع بين الحروب الصليبية من الناحية التاريخية والواقعية، والملحمة من الناحية المستقبلية.



الباب الثالث

النظرية السياسية الجاهلية

الفصل الأول

التفسير العام للنظرية

ومضمون النظرية السياسية الجاهلية هو:

- الطاغوتية، وهو المصطلح الذي يعني الشيطنة السياسية، وأساسيات هذا المصطلح: هي السلطة بعناصرها الأصلية..

وعناصر السلطة الأصلية هي:

- **القتال:** (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ في سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) [النساء: 67].
- **الولاء:** (اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[البقرة: 752].

شواهد الجاهلية السياسية:

1- الحساسية السياسية الجاهلية تجاه السلطة الشرعية الإسلامية:

2- التخلي عن الأولياء:

(وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ اليَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ وَاللهُ شَدِيدُ العِقَابِ)[لأنفال: 84].

3- المتابعة:

ولقد بدأت المتابعة الجاهلية فعلاً منذ لحظة الرسالة الأولى، حيث "أمر إبليس أتباعه بالانتشار في الأرض" عند بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم.



تلك هي خصائص الجاهلية التي تسيطر بها على الإنسان..

وهذه قريش تشترط على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يعيد إليها كل من أسلم، حتى جاء أبو جندل مسلمًا فأعاده المسلمون التزامًا بالمعاهدة، فيأخذه المشركون مقيدًا بالحديد.

وتبعث في أثر المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة لتعيدهم إليها، ويقدمون الهدايا إلى قساوسة النجاشي ملك الحبشة من أجل إعادتهم.

وتزاحم قريش النبي -صلى الله عليه وسلم- في مواسم الحج لتقاوم دعوته بعد أن رأته يدعو الناس.

4- الإشاعة:

ففي غزوة أحد، صرخ الشيطان -لعنه الله- بأعلى صوته: إن محمدًا قد قُتل، ووقع ذلك في قلوب كثير من المسلمين، وتولى أكثرهم، وكان أمر الله.

والإشاعة عنصر أساسي تعالج به الجاهلية مواقفها السياسية؛ ففي حكم عبد الناصر بعد ضربه للإخوان المسلمين خرجت همسات بين الناس تقول: ما له يقتل المسلمين ويترك النصارى؟! وكان عبد الناصر لا يستطيع أن يمس نصرانيًّا، بل كان مساندًا لهم، حيث بُنِيَت في زمنه كاتدرائية العباسية، وتبرع لها من أموال الدولة بالمال الكثير، وكانت له مواقف تحيز فيها للنصارى في بلاد كثيرة وليس في مصر فقط، فتحيز للأسقف مكاريوس ضد تركيا في نزاع جزيرة قبرص، وتحيز للإمبراطور هيلاسلاسي في الحبشة ضد مسلمي الحبشة.

ولما كان عاجزًا عن ضرب النصارى في مصر كما ضرب المسلمين.. أشاع خبرًا كاذبًا مفاده: (أن القساوسة اجتمعوا ليطالبوا عبد الناصر ببعض مطالبهم فأظهر الموافقة على مقابلتهم، فركبوا جميعًا القطار ليسافروا إليه ويقابلوه، ففجّر بهم القطار).. فهدأت خواطر الناس بالخداع والكذب.

ويماثل نشر الإشاعات في معالجة المواقف السياسية الجاهلية.. نشر المفاهيم الخاطئة.. ومثال ذلك:

- إشاعة أن السادات هو الذي أعطى الفرصة للحركة الإسلامية..

وهذا أمر غير صحيح؛ لأن الحركة الإسلامية "المرحلة الثانية" بدأت في عهد عبد الناصر وظلت في سرية، ولم يكتشفها أحد حتى حادثة الفنية العسكرية عام 4791.

ولكن الذي حدث.. أن السادات أراد ضرب الشيوعيين في الجامعات، فأتاح الفرصة للنشاط



الذي كان قائمًا وموجودًا بالفعل، وكان نشاطًا علنيًّا مختلفًا عن النشاط السري للحركة التي يزعمون أن السادات هو الذي أوجدها..

- إشاعة أن أمريكا هي التي ساعدت المجاهدين في أفغانستان في حربها ضد الروس..
- إشاعة أن أمريكا هي التي قتلت السادات..
- إشاعة أن أمريكا هي التي صنعت أحداث الحادي عشر من سبتمبر..
- إشاعة أن العداء الأمريكي والغربي للإسلام بدأ بعد أحداث سبتمبر..

والصواب: أن العداء الأمريكي للإسلام بدأ منذ نشأة أمريكا كدولة، حيث حمله إليها قادة الهجرة الأنجلوساكسون، وليس أدل على ذلك من جلب المسلمين من غرب إفريقيا واستعبادهم، وبدخول أمريكا في المعترك السياسي العالمي في الحرب العالمية الثانية، جاء دورها لاستلام تركة أوروبا المنهارة المتمثلة في أقطار العالم الإسلامي بكل ما تحتويه من ثروات طبيعية وخصائص استراتيجية!

ولكن التساؤل الذي يفرض نفسه: ما الهدف من وراء تلك الإشاعات؟!

هناك علة واحدة لكل هذه الإشاعات: هو نزع الثقة من الإنسان المسلم في أن يكون قادرًا على صنع شيء!

والصد عن سبيل الله كغاية سياسية جاهلية له خطوط محددة:

- منع ظهور الدين: "قتل الأنبياء والذين يأمرون بالقسط من الناس".
- منع حدوث الامتداد إذا فرض الظهور، من خلال التركيز على الزعامة، كمحاولة منع الرسول الخروج من مكة.
- التفسير غير الحقيقي للامتداد إذا فرض هذا الامتداد، كما فسر رستم قائد الفرس خروج المسلمين للقتال بقوله: "ما أخرجكم إلا الجوع".

فإذا ظهر الدين وفرض وجوده وتحقق امتداده.. نشأت خطوط أخرى:

- منع الدين السياسي: العلمانية.
- مقاومة السلفية ونشر البدع، للتحول بالناس إلى مرحلة "الانتساب العاطفي" الخاطئ: التصوف..
- ثم مرحلة "الاقتلاع العاطفي": الانحلال والإدمان..
- ثم اقتلاع الجذور التاريخية..

ومثال هذه المحاولة ما يتم في بلاد العالم المنتسبة إلى الإسلام مثلاً؛ حيث يتم هدم



فكرة الخلافة تاريخيًّا من خلال الفكر العلماني، وتأكيد الانتساب لمرحلة ما قبل الانتساب -مثل الفرعونية في مصر- لإضعاف الانتساب الإسلامي التاريخي، وتغيير الآثار والمعالم الدالة على الانتساب الإسلامي التاريخي لهذه البلاد.

- الفصل بين الدعوة والناس بتشويه الصورة الاجتماعية للدعوة.

وإيقاع الضرر بالعامة بسبب أصحاب الدعوة مثل مقاطعة قريش لبني عبد مناف حتى يكره الناس هذه الدعوة.

وفي ثنايا خطوط الصد عن سبيل الله تبرز عدة قواعد للسياسة الجاهلية.

قواعد السياسة الجاهلية في الصد عن سبيل الله:

قاعدة الهدف الناقص:

في مقاومة الجاهلية للدعوة سياسيًّا فإنها تنطلق من قاعدتها الأساسية وهي منع الدعوة من الوصول إلى هدفها الكامل.

وبهذه القاعدة ننتقل إلى واقع الصراع السياسي بين الجاهلية والإسلام.

فالهدف الإسلامي الذي تسعى الحركة الإسلامية إليه هو: إقامة الجماعة المسلمة القائمة على التوحيد، والجهاد لإقامة الدولة التي تقوم بها الخلافة الإسلامية.

والعوامل التي يتحقق بها هذا الهدف لها صفة ثنائية، مثل:

العلم والعمل:

وتبعًا لقاعدة الهدف الناقص فإنه من الممكن أن تسمح الجاهلية بظاهرة علمية ينقصها العمل بمقتضى هذا العلم، ولا تتعامل مع الواقع، لتحويل الدين إلى ظاهرة ثقافية، وعندئذ لن يكون هناك أي خطر من هذا العلم على الجاهلية.

الزعامة والأتباع:

وتبعًا لقاعدة الهدف الناقص فإنه من الممكن أن تسمح الجاهلية بظاهرة جماهيرية، ويسمح بأتباع لا تجمعهم زعامة توجهها وتحقق بها أهداف الدعوة، كما يمكن أن تسمح ببروز زعامات مقطوعة الصلة بالناس.

القوة والسياسة:

وتبعًا لقاعدة الهدف الناقص فإنه من الممكن أن تسمح الجاهلية بممارسة سياسية لا تقوم على القوة -الحركات الإصلاحية- ليسهل إيقافها في أي وقت، أو توجيهها لصالح



السلطة الجاهلية.

قاعدة الخطر الأول:

وفي مقاومة الجاهلية للدعوة في حال الامتداد الواسع.. فإن أعداء الدعوة يصنّفون أصحابها تصنيفًا فكريًّا وأمنيًّا، ويقومون بترسيخ الاختلافات المنهجية بين اتجاهات الدعوة، ووضع العناوين والتسميات للكيانات المختلفة بمضمونها ومصطلحاتها المنهجية؛ ليسهل التعامل مع كلٍّ منها على حدة، والانفراد بأخطرها عليهم، ثم تتعامل مع الآخرين بأسلوب مختلف يحقق نوعًا من الأمان والانفصال عن الخط الذي سيتم التركيز عليه من جانب الجاهلية.

والقاعدة التي تواجه بها الدعوة هذا الأسلوب.. هي اليقين بأن الجاهلية ترفض الإسلام كلية، بل لا تقبل مجرد كلمة "الإسلام".

قاعدة الاتجاهات الوهمية للصراع:

فعندما تسعى الجاهلية إلى تحويل الدعوة عن الاتجاه الصحيح للمواجهة.. فإنها تطرح اتجاهات وهمية للصراع، تُقنع الذين يفكرون في مصلحة الدعوة بالتحرك في هذه الاتجاهات من خلال مواقف غير حقيقية لإثبات فاعلية هذه الاتجاهات.

قاعدة سرقة الكفاح:

والواقع أن تَدَخُّل الجاهلية بعد أن تقطع الدعوة شوطًا هائلاً من طريقها وتقترب من تحقيق هدفها.. له أمثلة تاريخية محددة، نضرب لها مثلاً قديمًا من دعوة موسى.. وهو موقف السامري والعجل.

ومن المثل القديم.. إلى الواقع الحديث.. بنفس المضمون.

فمنذ سقطت الخلافة قامت حركات الإحياء الإسلامي بالدعوة إلى الجهاد ومقاومة الجيوش الصليبية -الإنجليزية والفرنسية- في كل الأقاليم الإسلامية..

في مصر بزعامة مصطفى كامل، ورشيد رضا، ومحب الدين الخطيب، ومصطفى الرافعي، ثم بقيادة حسن البنا والإخوان المسلمين، ومعه صالح حرب الذي أسس الشبان المسلمين.

وفي الجزائر قامت حركة جمعية العلماء بقيادة العلامة عبد الحميد بن باديس..

وكذلك في ليبيا قامت دعوة الجهاد ضد الإيطاليين إسلامية خالصة بزعامة عمر المختار.. حتى تحوَّلت بعد وقت طويل من الجهاد عن عقيدة أهل السنة والجماعة بواسطة إدريس السنوسي الذي جاءت بعده الثورة الليبية.



وفي كل هذه التجارب كانت النتيجة واحدة: نجاح السامري في اختراق الحركة، وسرقة الكفاح!

غير أن أخصب هذه التجارب وأحقها بالدراسة، كانت تجربة الإخوان المسلمين:

الإخوان المسلمون وثورة يوليو:

وكان أشد هذه المواقف موقف عبد الناصر والثورة من دعوة الإخوان؛ حيث بلغت دعوة الإخوان مرحلة كانت فيها من السلطة قاب قوسين.

لقد كان الإخوان المسلمون أقوى كيان سياسي:

- قضية ومشروع حضاري.
- زعامة تاريخية.
- عناصر قيادية ذات كفاءة عالية.
- قدرة تنظيمية حركية هائلة.
- قيادات عسكرية داخل الجيش والشرطة، ابتداءً من عزيز المصري الذي كانت علاقته بحسن البنا وثيقة جدًّا.
- مقاتلون حققوا بطولات ضد اليهود في فلسطين والإنجليز في القناة صنعت موقفًا تاريخيًّا حقق أكبر رصيد من التقدير والإكبار في نفوس الناس.
- قاعدة جماهيرية ضخمة منتمية ومؤيدة ومتعاطفة تكاد تستوعب الشعب المصري كله.

كيف استطاع أعداء الإسلام القضاء على هذا كله؟!

وإذا التجربة تبدأ بحلقتها الأولى: تغييب القيادة بقتل الإمام حسن البنا.

ثم الحلقة الثانية: وهي تبني نفس الأهداف التي طرحتها دعوة الإخوان في خطتها الإصلاحية، فكانت أهداف الثورة هي مضمون رسالة الإخوان المسلمين، فتحولت الجماهير -في أغرب صورة- عن دعوة الإخوان وتوجهت نحو الثورة.

وبمقارنة سريعة بين المثالين: تجربة السامري وعبد الناصر.. يتضح أن أخطر عناصر التوافق هو التدخل في مرحلة ما قبل تحقيق الهدف.

ولعل مضمون هذين المثالين التاريخيين يحقق الإدراك التام لحجم الضرر المترتب على غياب القيادة في واقع الدعوة.

أما الحد النهائي لهذا الخطر فهو أن تغيب القيادة برغبتها وإرادتها؛ والعلة الثابتة دائمًا



في هذه الغيبة هو الزهد في السلطة الذي يفهم على أنه إخلاص وتجرد.

وهذا الفهم قد يكون صحيحًا إذا كان هذا الزهد لا يخرج بالسلطة عن إطار الدعوة وأصحابها الحقيقيين، أما أن يزهد أصحاب الدعوة في السلطة لتكون في أيدي أعدائها فتلك هي الجريمة الكبرى.

وهذا عمر مكرم أكبر الشيوخ في مصر التي كانت في مرحلة الانقياد التام لزعامة العلماء يسلم قيادة البلاد لمحمد علي في أغرب تصرف تاريخي بدأت به أكبر مرحلة وجود علماني في مصر.

الفصل الثاني

محاور النظرية السياسية الجاهلية

- المحور الإعلامي:

ولكن الجاهلية تقاوم، وسيكون أخطر عناصر هذه المقاومة: المواجهة الإعلامية الجاهلية للدعوة الإسلامية.. وسيتركز المحور الإعلامي هو الآخر على عدة ركائز:

- المتابعة الدقيقة لأصحاب الدعوة بحيث لا تدع الداعية لحظة واحدة يخلو فيها إلى الناس.

- التأكيد على إصابة أصحاب الحدث الإسلامي بأمراض وعقد نفسية.. مثلما قال قوم شعيب لنبيهم بعد إعلان دعوته: (إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) [هود: 45].. ومثلما قالوا لرسول الله بعد إعلان النبوة: إن كان أصابك شيء طلبنا لك الأطباء.

- التنفير الدائم للناس من أصحاب الدعوة، وذلك من خلال تصويرهم في أذهان الناس في صورة سيئة، وهذه هي الفكرة القديمة التي مارسها فرعون.

ولأن الإعلام الجاهلي أداة للتعامل مع الإنسان، فقد تطلب ذلك عدة خصائص:

- الشكل المنطقي, والصفة المبدئية، كما حاول أن يبدو بها أبو جهل عندما قال في غزوة بدر: اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا يُعرَف فأحنه الغداة.
فكان المستفتح.

- السمة الإنسانية، كما قال عقبة بن أبي معيط في الإسلام: "فَرَّقَ الناس، وخَرَّبَ الديار، وجعل الولد يقتل والده".

وكما تحاول الجاهلية اليوم تجاوز حقيقة الدين بزعم المفاهيم الإنسانية: الحرية، الإخاء، المساواة.

والإعلام الجاهلي هو وسيلة الجاهلية العقلية والنفسية في الإنشاء والإبقاء على الكفر والفساد، وهو ساحر الحكم الجاهلي.. المحقق لمهمة الرضى والمتابعة بالكفر، وهو المقاوم للكراهية العارضة لهذا الكفر.

- ومن أجل ذلك لا بد من الاستيعاب الكامل لوقت الإنسان وعمره، بحيث لا تفوت لحظة دون أن تكون فتنة، كما قال -سبحانه: (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) [سبأ: 33].

- ولا بد من التناسب الدقيق مع العقلية البشرية كهدف للإعلام، ولعل مؤتمر الندوة الذي



حاول الاتفاق على وضع وصف للقرآن دليل على هذا التناسب.

- ولا بد من الأسلوب المؤثر السهل العبارة التي تخرج من هذا الفم ليتلقفها الجميع فتصبح على جميع الألسنة.. والحقيقة أن عبد الله ابن سلول هو أستاذ هذا التعبير الإعلامي الجاهلي.. فهذه عبارة من عباراته: "سمِّن كلبك يأكلك".

ولكن كل عناصر الإعلام الجاهلي لا ترى مجتمعة إلا في مواجهة أي حدث إسلامي؛ **عندئذ تكون العناصر المباشرة المواجهة للحدث:**

- التهوين من شأن الحدث: مثلما قال أبو لهب تعقيبًا على إعلان الرسالة من النبي -صلى الله عليه وسلم- من فوق جبل مكة: "تبًّا لك طول يومك ألهذا جمعتنا؟"، وكأن حدث الرسالة لن يبقَى إلا يوم إعلانه "طول يومك"، الأمر الذي لا يستحق الجمع "ألهذا جمعتنا؟!".

- قطع الصلة بين أفراد الحدث والواقع الاجتماعي الذي تم فيه الحدث، حتى لا يكون لهؤلاء الأفراد امتداد اجتماعي.. مثلما قال عروة بن مسعود لرسول الله -صلى الله عليه وسلم: جئت بأوشاب الناس لتفض بيضتك. حتى أفهمه ابن أخيه أنهم ليسوا أوشابًا، وكان يلبس المغفر على وجهه فضرب يد عمه.

- إعلان أنهم ليسوا على شيء.. مثلما استشار المشركون اليهود في أمر الدعوة، فأخبرهم اليهود أن المشركين أفضل من المسلمين.

- المزايدة على أصحاب الدعوة.. مثلما زايد المشركون على المسلمين بسقاية البيت وعمارة المسجد الحرام.

فعندما حدثت محاولة الفنية العسكرية، تم تخصيص أماكن خاصة للسيدات في المواصلات، وزيادة البرامج الدينية في وسائل الإعلام، والاهتمام بأقرب مناسبة دينية والمبالغة في الاحتفال بها.

ولكي تمنع الجاهلية أثر أي حدث إسلامي فإنها بعد أن تمارس رد الفعل الإعلامي المذكور سابقًا بعناصره.. فإنها تبحث عن أخطاء يغلب الظن فيها أنها لا تنال تأييد الناس..

الإعلام الجاهلي ليس إعلام خبري أو تأثير نظري.. ولكنه مصدر توجيه أمني لكل العملاء بكل مستوياتهم السياسية لاتخاذ قرارات ضد الدعوة.

السيطرة النفسية:

وهي أهم أهداف الإعلام الجاهلي، وأقوى دلائلها:

- فرض هيمنة المصطلحات الغربية في مجال الممارسة السياسية..

ومن أبرز هذه المصطلحات: فرض مصطلح العالم العربي بديلاً عن الأمة الإسلامية، ثم فرض مصطلح الشرق الأوسط بديلاً عن العالم العربي.

وأخطر ما في هذه المصطلحات سرعة انتشارها بمجرد صدورها عن الغرب، وتحولها إلى لغة دارجة على الألسنة.

- منهج صياغة النشرات الإخبارية، والتي تعد أخطر وسيلة للسيطرة النفسية على العقل المسلم المتابع للأحداث عبر العالم، وتزييف الحقائق والنتائج بصورة مضطردة، لفرض حالة الإحباط، وقتل أي أمل في إحراز أي نجاح لأي طرف مسلم.

- صنع قيمة سياسية للإعلام الجاهلي لتكون مصدرًا للفاعلية الإعلامية في الواقع، ومثال ذلك ما عرف باسم فضيحة (ووتر جيت).

- المحور الاقتصادي:

إن الجاهلية تنشئ بسياستها وضعًا اقتصاديًّا عالميًّا ينقسم الناس فيه إلى قسمين: الفقر المنسي، والغنى المطغي, وهما الحالتان اللتان تبتعدان بالإنسان عن إدراك الحق، فالذي ينسى نفسه فقيرًا يصعب عليه التفكير الصحيح في الواقع، والذي لا يرى نفسه إلا غنيًّا وطاغيًا يصعب عليه إدراك الواقع.

إن خطة الإفقار الجاهلية للعامة تهدف إلى إحداث معاناة معيشية شديدة تستهلك كل الطاقة الذهنية والنفسية للإنسان، وكذلك تهدف إلى تفتيت العلاقات الاجتماعية كنتيجة للحرص والأنانية، ومحاولة كل إنسان تحقيق أكبر قدر ممكن من المصالح الشخصية.

وحتى لا يصل الفقراء إلى نقطة الانفجار والثورة فإن السينما والتلفزيون يبتعدان به عن هذه النقطة من خلال موضوعات الأفلام والمسلسلات اليومية التي تضرب على الجرح والوتر الحساس فتثير الشجون تارة، وتارة أخرى تعالج الموضوعات التي تعرض حياة الترف والأرستقراطية التي تحدث نوعًا من السعادة وتعويض الحرمان..

وتارة ثالثة تعرض الموضوعات التي ينتصر فيها الفقير على الغني من خلال قصص الحب.. والمبادئ والأخلاق والشهامة.

المهم أن يبقى الفقر بلا ثورة..

أما خطة الغنى المطغي: فمنها خطة الترف الذي يفقد أصحابه الإحساس الحقيقي بغيرهم من البشر، وعندئذ لن تكون دعوة؛ لأن الدعوة إحساس بالغير.. وكذلك ستجعلهم يفتقدون حاسة البحث عن الحق؛ لأن الترف أنشأ عندهم معيارًا للحق وهو المال فقط،



وعندئذ لن تكون دعوة؛ لأن الدعوة بحث عن الحق، وتجعلهم يفتقدون إدراك الواقع، وعندئذ لن تكون دعوة؛ لأن الدعوة هي ثمة الإدراك الصحيح للواقع.

ومن هنا فإن أهم مقتضيات الصراع بين الجاهلية والإسلام هو تخليص الإنسان من حالة الفقر المنسي، وواقع الغيبوبة النفسية والذهنية التي يعيشها البشر، كما يوجب على الدعاة أن يعملوا بكل أساليبهم على إعادة العقل البشري من غيبوبة الفقر المنسي وإفاقته بكل المؤثرات النفسية والعصبية، وبكل الأساليب الكلامية والعملية، كما يجب أن يقف الدعاة أمام الترف الجاهلي وعناصر الثراء للاستعلاء بالإيمان وتجرده وكرامة الزهد وكرامة الزاهدين ومكانة العلماء؛ ليفيق المترفون عندما يشعرون أن هناك قيمة أعلى من المال وحقيقة أكبر منه هي قيمة الإيمان والإسلام.

سياسة المواجهة للنتيجتين:

إن التصور السياسي الصحيح يفرض على الدعاة في مواجهة الفقر المنسي والغنى المطغي أن نتعامل مع الإنسان بأقصى إمكانيات التأثير:

الإثارة الفكرية والعاطفية.. بأعمق أبعادها

المواقف التي تبكيه.. الخواطر التي تخيفه.. العبارات التي تطمْئِنه.

يجب أن يتكلم الدعاة بكل الألسنة وبكل الأساليب؛ لينسى الإنسان أمام الدعاة حياته الدنيا، سواءً كان فقيرًا أو غنيًّا..

وفي النهاية.. يجب أن يترفع الدعاة عن مصالح الدنيا؛ حتى لا يتهمهم الفقراء ولا يستهين بهم الأغنياء.

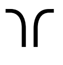
- المحور القانوني:

ورغم أن الجاهلية فوضى وخروج عن الأصول، إلا أن الشيطان يرغب في امتصاص الطبيعة البشرية التي ارتكزت فيها بصورة دفينة الرغبة في النظام والحياة في ظله.

وبالرغم من هذه الفوضى فإن الجاهلية تختلق لها نظامًا، لفرض الشيطنة، والتحايل على الفطرة الإنسانية في حب الخضوع للنظام، مثلما اختلقت الجاهلية نظامًا دقيقًا للتصرف في كل شئون الحياة.

- المحور النفسي:

ومن أخطر المحاور النفسية للسياسة الجاهلية: هو امتصاص رد الفعل الإسلامي إذا فعلت





الجاهلية ما يقتضي هذا الرد بحيث يتبدد رد الفعل الإسلامي بصورة نفسية شعورية غير عملية أو خطيرة، **ولعل أخطر الأمثلة على ذلك:**

حادث سقوط الخلافة الإسلامية: ذلك الحدث الذي كان قتلاً لكل مسلمي العالم فكانت قصائد شوقي التي نعى فيها سقوط الخلافة بمثابة المستأجرة في المأتم التي تسعد أهل الميت فيخفف هذا من وطأة الفجيعة.

وكان منصب "الخلافة" الصوفية الذي تهتم به الدولة وتعطيه الصفة الرسمية حيث يخرج "الخليفة" في المولد النبوي الشريف يركب "الفرس" وحوله "السيوف الخشب" و"الرايات" فيخرج الخليفة على جموع الشعب "المتصوفة" وهم يشعرون أن هذا "الخليفة" خير من ملء الأرض من "الخليفة" الذي ذهب..

ولكن هذه الخدعة الكبرى لا تستسيغها العقول الواعية فليكن لهؤلاء ما يخمد مشاعرهم ويهدئ من روعهم.. فكان السماح بالجمعيات الدينية التي وضعت على رأس برنامجها "إعادة الخلافة" والتي أشعرت أصحاب هذه العقول الواعية أن الخلافة ستعود ولكنها مسألة وقت.

- المحور العسكري:

ويتمثل في التطور التكنولوجي في التسليح، إلى الحد المحقق ليأس جميع البشر في مواكبته، ليستمر التطور حتى يصل إلى ما يطلق عليه حرب الفضاء، لتصبح الأرض موقعًا تم الانتهاء منه! ثم حرب الكواكب التي لا تمثل فيها الأرض إلا كوكبًا صغيرًا!! فتتضاعف مشاعر السيطرة من جانب الدول العظمى.. ومشاعر اليأس من الجانب الآخر.

الباب الرابع

الموقف السياسي العام للصراع بين الجاهلية والإسلام

الفصل الأول

عناصر تقييم الموقف العام

أولاً: من الجانب الجاهلي:

1- طبيعة السياسة الجاهلية (الاستراتيجية - العمق - الشمول):

لا يمكن الوصول إلى الموقف السياسي العام بين الجاهليـة والإسلام إلا من خــلال إدراك طبيعة السياسة الجاهلية وإمكانياتها ومستوى تخطيطها.

والسياسة الجاهلية تقوم على البحوث العميقة التفصيلية المتكاملة، وتدرس الإنسان حتى الأعماق، والمجتمعات حتى القاع، وتاريخ الشعوب وطبائعها وتقاليدها.

كما أنها تتابع الواقع.. وتتصل بكل ما يمت إلى الدراسة بصلة، من خلال أجهزة مخابرات وسفارات وعملاء.

فإذا كان الإنسان هو الموضوع السياسي فإنها تتابعه منذ ولادته حتى موته سلوكًا وعقلاً وعاطفة!

وإذا كان الموضوع هو الدين فإنها تتابعه من أصوله حتى فروعه: عقيدة وشريعة وفكرًا ومنهجًا، وذلك كله من خلال كل المؤسسات والهيئات العلمية، ومراكز البحوث المنتشرة في كل أنحاء العالم.

حتى يمكن القول بأن الدعوة الإسلامية أمام العداء السياسي العالمي بكل إمكانياته وطاقاته وخبراته..

2- الوحدة السياسية العالمية الجاهلية (العداء السياسي للإسلام):

لعل ظاهرة الوحدة الجاهلية على المستوى العالمي هي الظاهرة التي استحوذت على الشعور الإسلامي المتجه دائمًا نحو باطن الجاهلية لكشف أسرارها المجهولة، ومعرفة عللها الخفية، كمحاولة لتفسير ظواهرها، ولذلك تعاملت الجاهلية مع الشعور الإسلامي تعاملاً خطيرًا، فقدَّمت بنفسها تفسيرًا لهذه الظاهرة، وجوابًا لهذه التساؤلات.. من الذي يحكم العالم.. وكيف؟

ومكمن الخُبث في هذه التفسيرات أنها وضعت أمام الشعور الإسلامي أهدافًا وهمية، وغرست الإحساس بالسيطرة الجاهلية على العالم، وذلك في غيبة الإحساس بإحاطة الله لجميع خلقه, فانطبع في الأذهان أنه ليس هناك شيء في حياتنا إلا وقد أخذ موضعه ضمن المخطط المرسوم للعالم، ونشأ إحساس بالتضاؤل أمام الجاهلية.. كمخطط لا يمكن مواجهته، بل ولا معرفة غموضه.

وفي إطار هذه الوحدة تكون ممارسة التعاون الدولي ضد الدعوة بدون حساسية التدخل في الشئون الداخلية للدول؛ لأن هذه الوحدة حقيقة سياسية أساسية يخضع لها كل من يدور في فلكها، حيث يكون للعملاء السريين الدور الأساسي في تحقيق مقتضيات هذه الوحدة في تلك الممارسة.

ويأتي النموذج المصري كمثال تاريخي لهذه الوحدة:

فرغم أن التناقض بين الملكية وثورة يوليو كان مثالاً لأقصى درجات تناقض النظم السياسية، إلا أن خطة القضاء على الإسلام تبقى ثابتة بكل مراحلها، لتبقى الحرب على الإسلام هي الخط الثابت الوحيد لكل المراحل السياسية بكل تناقضاتها..

فاروق -الملكي- يقتل حسن البنا ويسجن الإخوان..

ويتمم عبد الناصر -الجمهوري- الخطة، ويسجن ويقتل من بقي من الإخوان..

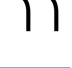
ولا يعني القول باجتماع العالم الجاهلي على الإسلام ألا يكون هناك صراع بين أطراف هذا العالم المعادي، وإلغاء تقسيمه إلى شرق وغرب، أو شيوعي ورأسمالي..

ولكن يعني أن يكون للعداء مع الإسلام الاعتبار الأساسي في أي صراع، وعندئذ يكون الصراع بين الأطراف الجاهلية المعادية للإسلام هو صراعًا بين من اجتمع على القصعة لينال منها أكثر من غيره.

3- الأساس الديني للصراع (المحورية الصليبية الأمريكية الغربية):

لعل حقيقة الأساس الديني للصراع هي أهم حقائق السياسة الجاهلية، حيث كان الذين لا يفهمون طبيعة الصراع ينكرونه دائمًا، حتى ظلت أجيال متوالية تفسر الصراع بغير هذه الحقيقة، وظلوا يفسرون الحرب على الإسلام بتفسيرات ومصطلحات كاذبة: مناطق النفوذ.. السيطرة على منابع النفط والمواد الخام.. الإجراءات الوقائية.. الأحزمة الأمنية.. إلى آخره.

وجاءت الحملة الصليبية القائمة لتكشف هذا الكذب المستمر، وأن الإسلام في حسابات هذا الصراع كان دائمًا هو المحور.. والقضية.. والهدف..





1- الخطة الجاهلية الثابتة والواقع المتغير:

اتفقنا أن هناك خطة جاهلية للقضاء على الإسلام، وقد يكون العنوان المطروح لهذه الخطة هو "الحرب الصليبية"..

لكن الجاهلية تضع لهذه الخطة عناوين أخرى لتضليل العقل المسلم عن العنوان الصحيح المعبر عن مضمونها الحقيقي..

ولكل مرحلة من مراحل الخطة عنوانها الخاص بها..

ابتداء من اعتبار الخلافة الإسلامية خلافة عرقية تركية تتطلب الدعوة إلى القومية العربية كبديل لسقوط المشروع الإسلامي تحت عنوان المرحلة القومية..

وتم ذلك من خلال إضعاف الخلافة قبل إسقاطها، وزرع الشقاق بين الأتراك والعرب!

ثم حركات التحرر الهادفة إلى التحول في السيطرة على العالم الإسلامي عن الأسلوب العسكري إلى الأسلوب الاجتماعي الهادف إلى القضاء على التقاليد الاجتماعية الإسلامية تحت عنوان التحرر الوطني..

وتم ذلك من خلال إحياء الاتجاه الإقليمي الذي تمثل في "معاهدة كامب ديفيد"!

ثم الانتقال من القومية والوطنية إلى مرحلة العولمة تحت عنوان الإصلاح السياسي وحقوق الإنسان، ليتحول العالم العربي إلى مجرد خريطة جغرافية ليس لها أي مضمون اجتماعي أو حضاري أو سياسي..!

وتم ذلك على المستوى السياسي من خلال مخطط التفتيت "العراق والسودان"..

وعلى المستوى الاجتماعي من خلال سياسات الإفقار والقتل بالنفايات والسرطان..

وعلى المستوى الأخلاقي من خلال إشاعة الفاحشة ونشر الدعارة والشذوذ والمخدرات..

وعلى المستوى الفكري من خلال نشر الإلحاد والعلمانية وإحياء المذاهب والفرق البائدة..

وعلى المستوى التعليمي من خلال إفراغ التعليم من أي مضمون ديني إيجابي، وتحويل مناهج التعليم إلى ألغاز ومتاهات لإشغال الأسر واستنزافها نفسيًّا وماديًّا ومعنويًّا..

استراتيجية التفتيت:

في مقابل وحدة الموقف الجاهلي، يأتي تعامل الجاهلية مع بقايا "العالم الإسلامي" باستراتيجية التفتيت.. من خلال خطة ثابتة العناصر..

- تحديد موضوع الصراع: ديني، مذهبي، عرقي، طبقي، سياسي..

- صناعة رموز الصراع: إبراز رموز مصطنعة، وإدخالها بؤرة الصراع لتمثل أطرافه، ليمكن من خلالهم التحكم فيه.

- **إشعال الصراع:** الدخول في مرحلة الصراع الدموي بعد الاحتقان الناشئ عن الصراع التاريخي والفكري المتصاعد..

- ديمومة الصراع: وذلك بطريقة الفعل ورد الفعل، وتغذية أطراف الصراع بصورة تجعله مستمرًا حتى تقضي أطراف الصراع على بعضها البعض.

- إظهار الهدف النهائي للصراع: وذلك بطرح فكرة التقسيم كبديل عن الصراع الدموي الذي ستكون له نتائجه المهولة بمصطلح سياسي مقبول "الفيدرالية".

5- تفسير السعار الجاهلي على حرب الإسلام

في بداية الحرب على الإسلام كانت الأهداف الحقيقية للحرب غير معلنة، حتى لا يستيقظ الشعور الإسلامي للدفاع عن دينهم، حتى اطمأن الأعداء إلى تمكنهم من الواقع، واستحالة يقظة هذا الشعور -في ظنهم-..

ولكن الجاهلية تضطر إلى إعلان هدف الحرب على الإسلام.. مما تسبب في يقظة الشعور الإسلامي..

وكانت عناصر خطة قتل الشعور الإسلامي هي:

- اقتلاع اليقين من قلب الأمة بالحق الذي هي عليه..

فكريًّا: بمحاربة عقيدة أهل السنة ونشر المذاهب المعادية (العلمانية) وإثارة الشبهات حول الإسلام.

وتاريخيًّا: بتشويه التاريخ الإسلامي؛ حتى لا يكون التاريخ منبعًا للشعور بالحق والذات الإسلامية.

- قطع الامتداد البشري بمواجهة الأجيال الجديدة (الطفل).

- تدمير القوة البشرية للأمة، حتى لا يُستفاد منها، إذا كان هناك بقية من الشعور (الأمراض والمخدرات).

- تحجيم الأمة بشريًّا (قوانين الزواج والنسل).

- تبديد طاقة الأمة في السعي لتحصيل لقمة العيش (الفقر والتجويع).

ثانيًا: من الجانب الإسلامي:

1- أصالة الامتداد وصدق الموقف:

يتمثل الموقف الإسلامي في مواجهة خصائص الموقف السياسي الجاهلي في جانبين

أساسيين: أصالة الامتداد (السلفية) وصدق الموقف (الشهادة)..

وهما الجانبان اللذان تركز الجاهلية الحرب عليهما، باعتبارهما الجوهر الحقيقي للموقف الإسلامي الذي يتهددها..

فبدأت بمحاولة اختزال "السلفية" في التراث النظري للأمة..

وانتهت بتعميق الهوة بين أصحاب الاتجاهات النظرية وأصحاب الاتجاهات الحركية، لتأكيد حالة الانفصام..

2- فهم حقيقة الصراع وأبعاده:

إن فهم حقيقة الصراع وتحديد أبعاده تنطلق من فهم حقيقة ربانية الدعوة، فهذه الدعوة دعوة ربانية، لها أقدارها الربانية، وحساباتها المنهجية..

وأهم هذه الحسابات: حسابات الزمن والدماء..

ففي حساب الزمن قد نتساءل عن هذا الوقت الطويل الذي تمضيه الأمة تحت الاستضعاف، لماذا؟!

والإجابة هي: أننا ندفع ثمن فترة طويلة من الانحراف عن الحق، فيجب تقبل النتائج المهولة للصراع بنفس راضية..

و الحسابات الصحيحة للدعوة هي التي تعين على تقبل هذه النتائج..

وتحقيق التوافق بين الإحساس والتصور البشريين وحقيقة الأمر عند الله تعالج الخلل في ضبط هذه الحسابات.

3- وحدة الموقف الإسلامي:

من أهم ضرورات الموقف السياسي: أن يتعاون المسلمون في إدارة الحرب ليكون لهم منطلق واحد، تجتمع فيه كل الطاقات الفكرية، وكل الخبرات العملية، وكل إمكانات المتابعة الواقعية.

ويحقق وحدة الموقف الإسلامي عدة مبادئ، أهمها:

- لا صراع مع مسلم.
- اعتبار الدخول تحت الغاية النهائية.
- التفريق بين العلاقة السياسية والعلاقة الحركية.
- التوازن في تقييم صواب وخطأ الاتجاهات الإسلامية المختلفة.
- الارتكاز على الحسم الواقعي لقضايا الاختلاف الفكري.



الفصل الثاني

نموذج للصراع السياسي بين الإسلام والجاهلية

(مصر: 1965م - 1981م)

التفسير التاريخي للحركة الإسلامية

الإخوان المسلمون كبداية تاريخية:

كانت تجربة الإخوان واقعًا جامعًا لكل تجارب الدعوة الحركية والفكرية، حتى ظهرت كتابات سيد قطب التي مثلت نقلة نوعية لمجموع تلك التجارب، ليتربى عليها الشباب الذين دخلوا بعد ذلك في تجربة الفنية العسكرية، لتكون تجربة الفنية منطلقًا تاريخيًّا لعدة محاولات حركية عرفت باسم تنظيمات الجهاد 77- 79.. حتى أحداث 18 التي كانت امتدادًا فكريًّا وتربويًّا لكل الأحداث السابقة عليها..

سيد قطب:

والحقيقة أن فهم كتابات سيد قطب لن يكون كاملاً إلا بمعرفة عدة حقائق أساسية:

- أن كتابات سيد قطب كتابات دعوية تربوية.. كتبت ليستطيع من يقرؤها النطق بما فيها والدعوة إليها وترديدها على أسماع الناس، ولم يكن الهدف منها مجرد تحصيل علمي أو معرفي، وهذا ما يفسر التكرار والتنوع في العبارات الدالة على المعنى الواحد، وهو ما ظنه البعض مجرد أسلوب أدبي.

- كتابات سيد قطب كتابات إنسانية ونفسية، فعندما كان يعرِّف الاستواء على العرش كان يذكر القول السلفي القاطع فيقول: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة..

ولكنه كان أحيانًا يعبر عن إحساسه الإنساني تجاه حقيقة الاستواء، كيف يتعامل مع هذه الحقيقة السلفية في الاستواء تعاملاً وجدانيًّا، فيظن المتربصون به أنه يؤوِّل الأفعال والصفات..!

- كتابات سيد قطب كتابات مواجهة واقعية، فعندما عَرَّف الإسلام بأنه تصورات اعتقادية، وشعائر تعبدية، وأحكام قانونية، وأن الإسلام له ثلاث مرتكزات: الحكم والنسك والولاء.. إنما

كان يواجه واقع تحكمت فيه مفاهيم خاطئة؛ منها: أن الإسلام يكون بمجرد القيام بالجانب العقدي أو التعبدي فيه دون الاعتبار لقضية الحاكمية.

ولم تنتبه السلطة الجاهلية في مصر هي الأخرى لخطورة كتابات سيد قطب إلا بعد اكتشاف تنظيم 56، فبدأ الهجوم عليها منذ هذا الوقت حتى الآن!

ويمكن تحليل تلك المرحلة (مرحلة عبد الناصر - السادات) في هذه العناصر:

- الدعوة قضية فطرية بالأساس.. وليست مجرد تلقين..
- الغباء غير الطبيعي من جانب الحكم الناصري.
- قدر الله الغالب على أمره..
- صغر سن الشباب خفف من التركيز الأمني عليهم..
- صغر سن الشباب جعله متحمسًا.. وخصوصًا أنه لم يقاس من أهوال الفترة الناصرية..
- الرغبة الجامحة في القضاء على الحكم الناصري كرد فعل نفسي لأهوال الناصرية.. وكرد فعل للخوف من تكرار هذه الأهوال معهم.

إن نكسة 67 دليل قاطع على أن العالم لا يسير وفق خطة محكمة لا يخطئ أصحابها؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لما كانت النكسة أصلاً، ولو على الأقل في هذا التوقيت..

لأنه في هذا التوقيت لم تكن جذور الأصالة الإسلامية قد ماتت بعد.. حتى جاءت النكسة لتتحول أرض مصر إلى تربة خصبة ومناسبة لامتداد وارتفاع هذه الجذور.

كل هذه العوامل ساعدت على إنشاء الحركة الإسلامية لتمثل خط الواقع الذي هيأه الله للدعوة، ثم يأتي خط التطور الطبيعي للحركة ذاتها.

لتتكون الصورة النهائية لواقع الحركة العسكرية السرية التي بدأت من خلالها أحداث المنصة, وقتل فيها السادات.

النقلة العالمية:

كان من أهم نتائج حادثة المنصة وصول أعداء الدعوة إلى حقيقة عجز الحكومات الإقليمية عن مواجهة الحركة الإسلامية، فكان قرار التعامل المباشر بينهم وبين أصحاب الدعوة..

وكان هذا القرار من أهم الأسباب النهائية التي أدت إلى النقلة العالمية في الصراع..

وفي الوقت الذي ثبت فيه عجز الحكومات الإقليمية عن مواجهة الحركة الإسلامية.. ثبت لأصحاب الحركة عدم جدوى التعامل المباشر مع هذه الحكومات، واستنفاد طاقة الدعوة في مواجهات مع القوى الأمنية الإقليمية.

وكانت أفغانستان هي أول نموذج تاريخي لهذا الموقف..

فكان تدخُّل قوات الاتحاد السوفيتي لمساندة الحكومة الشيوعية المنهارة تحت ضغط الحركة الإسلامية في أفغانستان عام 9791.. هو شرارة النقلة العالمية..

في نفس الوقت كانت أمريكا تخشى اقتراب السوفييت من المياه الدافئة في الخليج، وتهديد وجودها العسكري ونظامها الأمني في الشرق الأوسط، لذلك أوعزت إلى عملائها **بما يلي:**

- تسمح مصر والسعودية بجمع التبرعات وخروج الشباب المسلم إلى باكستان للتدرب في معسكرات باكستانية تحت سمع وبصر المخابرات الأمريكية..

- يتم بيع أسلحة أمريكية لتجريبها في الحرب ضد أسلحة الاتحاد السوفييتي مقابل الأموال التي تم جمعها من مصر والسعودية..

- تقوم مخابرات باكستان بالتنسيق بين فصائل المجاهدين الأفغان، واستقبال وتدريب المجاهدين العرب..

- توفر المخابرات الباكستانية للمخابرات الأمريكية إمكانية التواجد قريبًا من معسكرات المجاهدين ومخازن السلاح الأمريكي -الذي تم شراؤه.

وفي ظل هذه الثغرة بين معسكرات الكفر، حدث الاختراق الإسلامي، فكانت مرحلة توجه الإخوة إلى المواجهة المباشرة مع القوى الجاهلية العالمية في كل مواقعها، وأهمها أفغانستان!

هذه المواجهة التي جمعت كل إمكانيات المسلمين على مستوى العالم في حرب واحدة مع عدو واحد.. هو أكبر دولتين عظميين في العالم..

ثم كان "الانتصار الكبير" الذي أنشأ للحركة الإسلامية ثقلاً سياسيًّا لا يمكن لأي أحد أن ينكره، وخصوصًا بعد اليقين من إمكانية الانتصار على أمريكا بعد الانتصار على الاتحاد السوفيتي.. وهو ما بدأ يتحقق الآن فعلاً في أفغانستان، مما ضاعف الثقل العالمي للحركة الإسلامية..

ومن هذا المستوى وبعد تلك النقلة العالمية للمواجهة الإسلامية ثبت الموقف الإسلامي العالمي، وانطلقت كل إمكانيات الدعوة من هذا المنطلق الواحد:

"معالجة الشعور بـ وحدة الأمة.. وحدة العدو.. وحدة المواجهة".

مواجهة المحورية الأمريكية: أحداث 11 سبتمبر

بعد الانتصار الكبير على الاتحاد السوفييتي، كانت هناك محاولات محمومة من أمريكا

وعملائها لاحتواء من يمكن احتواؤه من رموز هذا الانتصار، وتصفية من فشلت معه محاولات الاحتواء..

ظهرت في الواقع متغيرات جوهرية، أهمها ظهور السيطرة الأمريكية على الحكومات الدائرة في فلكها، بحيث أصبح واضحًا أن الدعوة أمام أمريكا بصورة مباشرة، حيث تم اكتشاف أن الدول تسير بإدارة أمريكية لها عملاؤها ومجموعات عملها الخفية.

فتوجهت الحركة الإسلامية بنفس القاعدة التي كانت تتوجه بها إلى السلطات الحاكمة المعادية للإسلام.. إلى أمريكا كمصدر حقيقي لهذه السلطات في العالم.

ليتحدد المستوى الثابت للصراع العسكري بين الدعوة الإسلامية وأعدائها، ابتداءً من المنصة حتى أحداث سبتمبر!

نتائج النقلة العالمية:

كان وصول الحركة الإسلامية إلى أعلى مستويات المواجهة هو أهم تلك النتائج، وبجانب ذلك تحققت عدة نتائج مهمة:

- أهمها تحقيق القناعة بقضية الدعوة باعتبار ظهور الظلم الأمريكي والأوروبي أمام الجميع، مما أنشأ قناعة الشعوب بالمواجهة التي تمارسها الدعوة؛ إذ أصبحت مواجهة مع احتلال أجنبي ليس له أي مبرر.

أما القناعة بالنقلة العالمية من جانب أصحاب الدعوة: فهو المواجهة بقاعدة جهاد الدفع، الذي أوجد حالة جهاد الدفع الشرعية، وهي حالة متفق عليها على مستوى جميع توجهات العمل الإسلامي.

فتحركت العناصر القادرة على الجهاد إلى أفغانستان والعراق لجهاد الدفع المتفق عليه شرعًا..

- كما أن المحورية الأمريكية للصراع مع الإسلام أعطى لواقع الصراع طبيعة الحرب الصليبية، مما أوجد استفزازًا للشعور الإسلامي الذي حقق بدوره تعاطفًا كبيرًا للطرف المسلم في هذا الصراع، وخصوصًا مع الإعلان بأن الحرب على الإرهاب حرب صليبية..





هدية العدد ١٨ من مجلة كلمة حق يناير ٢٠١٩